العهد الفيصلي
مشـــروع دولة لم يكتـــمل
الديمقراطيـــة والحداثـــة في العهد الفيـــصلي
دراسة في الديمقراطية والحداثة في العهد الفيصلي جدل السياسة الدولية والأوضاع الداخلية - المآلات
معقل زهور عدي

العهد الفصلي - مشروع دولة لم يكتمل

الديمقراطية والحداثة في العهد الفيصلي

معقل زهور عدي

دراسة في الديمقراطية والحداثة في العهد الفيصلي - جدل السياسة الدولية والأوضاع الداخلية - المآلات

إهداء

أهدي هذا العمل لزوجتي العزيزة وأم أبنائي التي وقفت إلى جانبي في الأيام الصعبة كما الأيام الجميلة .

العهد الفيصلي - مشروع دولة لم يكتمل

مقدمة :

تأتي هذه الدراسة كتتمة لكتابي " ثورة الشريف حسين والحركات القومية في بلاد الشام " وبالرغم من تناول موضوع العهد الفيصلي في الكثير من الدراسات المعاصرة فمازالت الأهمية قائمة لإلقاء الضوء على ذلك العهد الذي يعتبر بحق مهد أول مشروع دولة عربية في العصر الحديث , مايتميز به هذا الكتاب هو وضع محاور محددة للبحث , فهو ليس تناولا عاما للعهد الفيصلي , لكنه سعى أيضا للتعرض للجوانب الأخرى خارج تلك المحاور كي لاتكون الصورة مبتسرة خاصة للجوانب المرتبطة بطريقة أو أخرى بالمحاور الرئيسية .

وقد حددت للبحث ثلاثة محاور رئيسية :

المحور الأول : المراحل السياسية للعهد الفيصلي .

المحور الثاني : الديمقراطية والحداثة في العهد الفيصلي.

المحور الثالث : السياسة الدولية والعهد الفيصلي - جدل الداخل والخارج .

وفي الحقيقة فإن اختيار تلك المحاور يرتبط بمحاولة إلقاء الضوء على الجوانب الأكثر أهمية لذلك العهد في استخلاص الدروس والعبرالتي يمكن أن تساهم في حل المشكلات

التي يطرحها الواقع الراهن أمامنا. وبصورة خاصة موضوع الديمقراطية والحداثة والعلاقة بين الوطنية السورية والقومية العربية وكذلك العلاقة بين التيارات الإسلامية الليبرالية والعلمانية .

في معظم الكتب والأبحاث التي تناولت العهد الفيصلي كان هناك ميل لتجنب تقييم تلك المرحلة بما في ذلك أداء الشخصيات والتيارات السياسية والفكرية , وذلك مفهوم من وجهة نظر البحث التاريخي الموضوعي , لكن ذلك لم يكن يعني بالنسبة لي على الأقل الإبتعاد عن استخلاص النتائج ومحاولة معرفة الأخطاء , والذي قد يصل لتقييم أداء الأفراد والمجموعات مما يخرج عن نطاق مجرد البحث التاريخي لكنه يدخل في نطاق نقاش مسؤولية المثقف الوطنية والقومية في كشف الصورة الحقيقية وتحديد المسؤوليات ضمن تلك المرحلة التي مازلنا نعاني من تبعاتها حتى اليوم .

يعتقد البعض أن تقييم أي مرحلة تاريخية بمختلف جوانبها الإيجابية والسلبية لايمكن أن ينجز ممن عاصر تلك المرحلة في خضم أحداثها , وأنه لابد أن ينقضي بعض الوقت ليصبح بالإمكان رؤية نتائج تلك المرحلة كي يمكن العودة لتقييمها بطريقة أكثر عمقا وشمولا , ولاشك أن لذلك الرأي نصيب من الحقيقة مهما وجدت الأسباب لوضع ذلك محل النقاش والجدل .

وقد حاولت جهدي النظرللعهد الفيصلي كما لرجاله من مختلف الجوانب السلبية والإيجابية وضمن سياقاته التاريخية , فبالنسبة للأمير فيصل فقد توقفت مليا عند نهجه الديمقراطي في الحكم , وابتعاده عن فرض إرادته ورأيه على المؤتمر السوري العام والحكومة والحركة الوطنية , والتزامه بالأخذ برأي الأغلبية حتى في أشد الأوقات حرجا

وخطورة وحين يكون متيقنا من صواب رأيه المخالف لرأي الأغلبية , وكيف أنه كان يفضل ذلك على تعريض البلاد للإنقسام والثورة وسفك الدماء , كما يحسب له أنه كان ركيزة رئيسية للحريات والديمقراطية التي امتاز بها ذلك العهد , كما كان الرمز الذي اتحدت حوله معظم التكوينات الإجتماعية السورية في خضم عملية صعود الوطنية السورية , وفي المقابل لايمكن للمرء إلا أن يتوقف أيضا عند تبعيته للسياسة البريطانية إلى درجة عدم القدرة على رؤية البدائل والتحضير لها حال تخلي تلك السياسة عنه وعن الدولة السورية الوليدة.

أما السياسة الدولية فقد أثرت بصورة وثيقة للغاية بنشوء العهد الفيصلي مثلما ارتبطت بانتهائه أو إنهائه بالقوة ومن الضروري التوقف عند تحولاتها وتأثرها بالأوضاع الداخلية في سورية التي كانت تتجه باستمرار نحو ازدياد قوة الحركة الشعبية ونفوذها السياسي , تلك السياسة الدولية التي لم تتمكن النخب العربية والسورية منها حتى الآن من إدراك طريقة عملها والتعامل معها بطريقة تجمع بين الإستقلال والندية والمرونة مقابل الخلل في موازين القوى الذي مازال يسم تلك العلاقة الصعبة . أما المحور الأول فقد كان ضروريا لامتلاك صورة تلخص التحولات السياسية التي مر بها ذلك العهد , ومقدمة للبحث في المحورين الثاني والثالث .

تعود أسس العهد الفيصلي مباشرة لثورة الشريف حسين والإتحاد الذي حدث خلال الفترة التاريخية ذاتها بين الحركات القومية في بلاد الشام وتلك الثورة , وكأن مصير العهد الفيصلي قد ارتسم في الأفق منذ أن انخرط العرب في تحالف غير متكافىء مع أقوى إمبراطورية استعمارية في ذلك العصر وأعني بها بالطبع الإمبراطورية البريطانية ,

ذلك التحالف الذي لم يكن سوى مطية مؤقتة للغرب لدخول المشرق العربي بأقل تكلفة ممكنة واحتلاله وتقسيمه وزرع إسرائيل في قلب ذلك المشرق .

مع ذلك وضمن الوقت المستقطع مابين انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية وبين تفرغ الدولتين الإستعماريتين الكبيرتين بريطانيا وفرنسا للمباشرة بتطبيق اتفاق سايكس بيكو بعد حل خلافهم حول تلك المعاهدة السابقة على نهاية الحرب , وكذلك الإنتهاء من معاهدات الإستسلام لدول المحور المهزومة خاصة ألمانيا (معاهدة فرساي) والإمبراطورية النمساوية - المجرية (معاهدة سان جرمان) ثم الدولة العثمانية (معاهدة سيفر) , والتغلب على التدخل الأمريكي الخجول في السياسة الإستعمارية لبريطانيا وفرنسا , أقول ضمن ذلك الوقت المستقطع, تمكنت سورية من تقديم نموذج حي لدولة حديثة ديمقراطية رائدة , ستبقى في وجدان العرب والسوريين مصدر إلهام لوقت طويل .

لم يكن العهد الفيصلي طويلاً في عمره , فهو لم يعمر أكثر من اثنين وعشرين شهرا , لكن التجارب التاريخية لاتقاس بطول المدة التاريخية أو قصرها , فبينما بقيت أوربة غارقة في ظلام العصور الوسطى من القرن السادس الميلادي وحتى القرن السادس عشر كانت الحياة فيها تسير وفق نمط ثابت وأفكار لاتتغير , فإننا نجد بعد ذلك نهوضا متصاعدا في التجارة والإقتصاد والفكر خلال حوالي مئتي عام ثم جاءت الثورة الفرنسية لتقلب المفاهيم الاجتماعية والسياسية السائدة رأسا على عقب خلال عشر سنوات بدأ بالعام 1789 , وبالمثل كان العهد الفيصلي شديد الأهمية من حيث طبيعة الإنجازات التي شهدها ودلالات تلك الإنجازات , ويمكن اعتباره مهدا للوطنية السورية مثلما كان تجسيدا وتجليا ماديا للفكرة القومية العربية لأول مرة , ومختبرا لأول ديمقراطية حداثية عربية حقيقية .

مايعنيني أيضا هوالتركيز على ذلك التفاعل الخلاق بين العروبة والإسلام المستنير والحداثة , والذي يكفي للدلالة على أن اجتماع تلك العناصر الثلاثة ليس من قبيل اجتماع الأضداد , والشرط هنا هو توفر نخب كتلك التي شهدها العهد الفيصلي , أما حين لايتوفر تيار إسلامي مستنير , أو علماني مرن متلائم مع البيئة الإجتماعية والثقافية , أو قومي عربي ديمقراطي فمن الطبيعي أن لانتوقع وجود إمكانية لاستعادة تلك التجربة التاريخية.

في بدء العهد الفيصلي كانت الريادة السياسية للتيار القومي العربي الذي سبق أن تكون مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بصيغة الجمعيات العربية خاصة جمعية العربية الفتاة التي استطاعت تأسيس قاعدة لها في دمشق بعد أن نقلت مقرها من باريس عقب مؤتمر باريس عام 1913 والذي كان مرحلة فاصلة في صياغة المطالب القومية العربية وفق برنامج سياسي واضح المعالم أصبح فيما بعد البرنامج المشترك لكل القوى والتجمعات القومية العربية حتى العام 1916 حين خرجت للوجود فكرة الإستقلال التام عن الدولة العثمانية بفعل الحرب العالمية الأولى والأخطاء الجسيمة التي ارتكبها جمال باشا خلال مدة حكمه لبلاد الشام بين 1915 – 1917 ببطشه بالمثقفين والناشطين السياسيين العرب وعوائلهم , ونقل وبعثرة الضباط العرب نحو الجبهات البعيدة , وفرض التتريك بالقوة , وكان يتم كل ذلك والدولة العثمانية بأضعف حالاتها , والحديث حول انهيارها وتركتها ملء المسامع والآذان , وخلال المقدمات لثورة الشريف حسين في الحجاز , وما قام بالتحضير له من الاتفاق مع الدولة البريطانية.

دفعت العوامل السابقة مجتمعة الجمعيات القومية العربية إلى طلب الإستقلال التام ووضع يدها في يد الشريف حسين , وبعد أن دخل جيش الشمال العربي دمشق عام 1918 برفقة

جيش الحلفاء , تحولت جمعية العربية الفتاة فعليا لحزب حاكم , بالرغم من أن لجنتها الإدارية فضلت الإستمرار السري بالعمل وإنشاء واجهة حزبية تحت اسم حزب الإستقلال العربي.

لكن ذلك الحزب لم يحكم كحزب قائد للدولة والمجتمع كما فعل حزب البعث بعد العام 1964 مقصيا بذلك كل الأحزاب والقوى السياسية الأخرى , وعلى النقيض من ذلك فقد أطلق حياة سياسية نشطة وفعالة في البلاد , ولم يكن لديه أي مانع في رؤية رجل كمحمد فوزي باشا العظم عرف بمعارضته الشديدة لثورة الشريف حسين والدعاية ضدها رئيسا منتخبا لأول مؤتمر سوري عام اعتبر كجمعية وطنية تأسيسية مثلت السوريين تمثيلا حقيقيا ديمقراطيا .

في أيلول/ سبتمبر من العام 1919 ومع اتفاق بريطانيا وفرنسا على سحب الجيش البريطاني من سورية وإحلال الجيش الفرنسي مكانه في إشارة واضحة للعزم على تطبيق اتفاق سايكس بيكو , جاء لدمشق رشيد رضا الشيخ المعمم الطرابلسي تلميذ المصلح الإسلامي الكبير محمد عبده وأحد أقطاب حزب الإتحاد السوري ومقره مصر لينخرط في العمل السياسي بدمشق باسم حزبه وبتنسيق وتفاهم مع جمعية العربية الفتاة القومية , وسرعان ما دخل المؤتمر السوري ثم انتخب رئيسا للمؤتمرالسوري وشارك بفعالية في صياغة الدستور السوري . وقد لعب دورا رئيسيا في ايجاد توافق وطني بين التيار القومي العربي العلماني والتيار الإسلامي العربي , وفي حل الخلافات التي ظهرت أثناء مناقشة الدستور بطريقة توافقية بحيث يكون كل طرف مستعدا لشيء من التنازل

للطرف الآخر بهدف الوصول لصيغة توافقية مشتركة .

ومن تلك المسائل التي شهدت تجاذبا مسألة طرحها النائب ابراهيم الخطيب النائب عن جبل لبنان بخصوص تضمين الدستور حق المرأة السورية بالتصويت , وفي ذلك النقاش برز بعض رجال الدين مؤيدين لذلك الحق من وجهة نظر إسلامية , بينما اعترض نواب آخرون باعتبار المجتمع السوري ليس مؤهلا لتقبل ذلك وأن وضع مثل تلك العبارة في الدستور يمكن أن يحدث فتنة نحن بغنى عنها في الوقت الراهن , وحسم رشيد رضا النقاش بترك تلك المسألة دون إنكارها , ربما على أمل العودة إليها في المستقبل بظروف مناسبة .

أما أكثر مايستدعي التوقف عنده فهو قبول التيار الإسلامي لعدم ذكر أن دين الدولة الإسلام رغم المطالبة بذلك أول الأمر , وجرى إرضاء التيار الاسلامي بعبارة تنص على أن دين الملك هو الإسلام , وواضح أن تلك العبارة لاتغير في شيء من علمانية الدولة .

في المقابل لم يرض الإسلاميون بالنص على العلمانية صراحة مما قد يفسر على أن الدولة دولة إلحاد من قبل جمهرة واسعة من الشعب فتراجع العلمانيون واكتفوا بوصف الدولة باعتبارها دولة مدنية بمعنى أنها ليست دولة دينية .

إذن فقد استطاع العهد الفيصلي تقديم نموذج حي لاحتواء المؤتمر السوري العام لتيار إسلامي معتدل وإصلاحي بل وانتخاب أبرز ممثليه رئيسا للمؤتمر , كما استطاع إنجاز دستور سوري مدني علماني ديمقراطي متقدم بتوافق وطني ضم أجنحة سياسية واجتماعية متعددة أبرزها التياران القومي العلماني والإسلامي الاصلاحي.

وعلى أية حال تكفي التجربة التاريخية للعهد الفيصلي لتوضح بما لايدع مجالا للشك أن

توافقا بين ليبرالية إسلامية متنورة وعلمانية وطنية مرنة ليس أمرا مستحيلا , بل هو ممكن ومطلوب أيضا.

الفصل الأول : المراحل السياسية الرئيسية للعهد الفيصلي .

يمكن تمييز ثلاث مراحل سياسية رئيسية للعهد الفيصلي :

المرحلة الأولى : تبتدىء مع دخول جيش الشمال العربي بقيادة الأمير فيصل بن الحسين لدمشق وإعلان الحكومة العربية في مطلع تشرين الأول / نوفمبر عام 1918 وتنتهي في 15 أيلول / سبتمبر عام 1919 مع الإجتماع الذي تم في باريس بين رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج ورئيس الوزراء الفرنسي جورج كليمنصو والإتفاق المعلن بسحب الجيش البريطاني من جميع أنحاء سورية ودخول الجيش الفرنسي ليحل مكانه فيما عدا المدن السورية الداخلية الأربعة دمشق وحمص وحماة وحلب , والذي جرى الإصطلاح على تسميته باتفاق "الإستبدال" على أن يتحمل الجيش العربي فيها مؤقتا حفظ الأمن ريثما يتم البت بمصير سورية وفلسطين ولبنان والعراق وفق ما يقرره مؤتمر الصلح المنعقد في باريس حيث اعتبرت تلك البلاد "أرضا محررة من العدو" كأحد نتائج انتصار التحالف في الحرب العالمية الأولى على دول المحور .

- ضمت مجموعة دول الحلفاء في فترة الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918) الدّول التاليّة : المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا، فرنسا والإمبراطورية الروسية بينما ضمت دول المحور : الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية- المجرية والدولة العثمانية ومملكة بلغاريا.

شهدت المرحلة الأولى محاولة بناء الكيان الجديد بهياكله الإدارية والسياسية وتعريب المحاكم والتعليم والأجهزة الحكومية ونشر التعليم والثقافة وإنشاء الجامعة السورية والمجمع العلمي والصحافة الحرة وازدهارا غير عادي للحياة السياسية والحزبية , وترسخ مكانة المؤتمر السوري العام كجمعية تأسيسية وكمجلس نيابي ممثل لعموم السوريين في جميع الحقول السياسية بما في ذلك السياسة الخارجية .

المرحلة الثانية : تمتد المرحلة الثانية من 15 أيلول / سبتمبر 1919 ولغاية عقد المؤتمر السوري العام في 7 آذار/ مارس 1920 وتتميز باضطراب الوضع السياسي في سورية , ونشوء معارضة شعبية واسعة لفكرة الإنتداب الفرنسي على سورية , والأعمال المسلحة التي أخذت شكل حرب العصابات ضد الوجود العسكري الفرنسي في سورية ولبنان والساحل السوري وحظيت بتعاطف شعبي , كما تتميز باتفاق فيصل - كليمنصو وما نشأ عن ذلك الاتفاق من انقسامات سياسية ضمن جمعية العربية الفتاة وحزب الإستقلال وابتعاد الحركة الشعبية عن الخط السياسي لفيصل بما في ذلك المؤتمر السوري العام وإنشاء اللجنة العليا للدفاع .

المرحلة الثالثة : تبدأ المرحلة الثالثة مع عقد المؤتمر السوري العام والقرارات الحاسمة المتخذة والتي كانت سببا مباشرا لانفجار الأزمة السياسية بين الحكومة الفرنسية ومعتمدها في لبنان وسورية الجنرال غورو وبين الحكومة العربية في دمشق والأمير فيصل , حيث انهار تماما اتفاق فيصل - كليمنصو , وبدأ الجنرال غورو التحضير لفرض الانتداب الفرنسي بالقوة العسكرية , وإنهاء المملكة السورية العربية وطرد الملك فيصل من البلاد وفي المقابل توجه العهد الفيصلي نحو الاستعداد للمواجهة بفرض التجنيد الإلزامي وبناء الجيش وتوجه الحكومة نحو تبني خطة دفاعية عن دمشق , ثم جاء منع الجنرال غورو فيصل من السفر لأوربة وتوجيه الإنذارالمتضمن قبول فرض الإنتداب وتسريح الجيش وأخيرا معركة ميسلون واحتلال دمشق في 25 تموز/ يوليو 1920 .

المرحلة السياسية الأولى :

دخل جيش الشمال العربي دمشق بعد انكسار الجيش العثماني أمام جيش الحلفاء بقيادة الجنرال ادموند هنري هاينمان اللنبي في عدة معارك عسكرية في حملته التي انطلقت من مصر نحو سيناء فغزة ثم المعركة الفاصلة قرب نابلس والتي انهزم فيها الجيش العثماني بقيادة مصطفى كمال هزيمة كبرى دفعته للتراجع باستمرار إلى شمال سورية فاقليم كليكية أمام جيش الحلفاء وحليفه جيش الشمال العربي .

وفي أواخر تشرين أول / اوكتوبر 1918 لم يبق في سورية أية قوات عثمانية لكن الحكومة العربية لم تكن تسيطر فعليا على عموم سورية خاصة في الساحل السوري ولبنان حيث باشرت القوات الفرنسية في النزول والإنتشار وكذلك في فلسطين وشرق الأردن حيث الجيش البريطاني يقيم المعسكرات والنقاط التي تؤمن له السيطرة على كامل تلك البلاد , وحتى في سورية الداخل كانت هناك القوات البريطانية , والقليل من القوات الفرنسية .

في الدخول لدمشق حرص الجنرال اللنبي على وضع جيش الشمال العربي في مقدمة المشهد والحد من ظهور الجيوش الحليفة التي وصلت متزامنة مع جيش الشمال العربي لدمشق , في حين كان العثمانيون قد انسحبوا مسبقا من دمشق , وهكذا بدت الصورة وكأن جيش الشمال العربي بقيادة الأمير فيصل هو الذي جاء محررا لدمشق من العثمانيين متحالفا مع جيش الحلفاء . وكان ذلك ماتهدف إليه السياسة البريطانية التي رسمها توماس ادوارد لورنس الضابط البريطاني المرافق للأمير فيصل .

بعد دخول دمشق أعلن الجنرال اللنبي تقسيم سورية الطبيعية إلى ثلاث مناطق عسكرية , المنطقة العسكرية الشرقية وتضم الداخل السوري من معان الواقعة جنوب الأردن إلى حلب في الشمال , والمنطقة العسكرية الغربية وتضم لبنان والساحل السوري حتى انطاكية , والمنطقة العسكرية الجنوبية وتضم فلسطين .

وقد تم تبرير ذلك التقسيم باعتباره مجرد ضرورة عسكرية , ريثما يقرر مؤتمر الصلح في باريس مصير تلك البلاد من جملة مايقرره بخصوص الأراضي التي سيطر عليها الحلفاء والتي كانت ضمن الامبراطورية العثمانية والدول المنهزمة الأخرى في الحرب

وفي الوقت الذي تم فيه ذلك التقسيم قام الجنرال اللنبي بتعيين الأمير فيصل حاكما للمنطقة الشرقية ومنح فرنسا حق إدارة المنطقة الغربية بينما بقيت المنطقة الجنوبية تحت الادارة البريطانية .

وفي ظل هذا التقسيم , ومع تساهل بريطاني في منح الأمير فيصل هامشا واسعا من حرية إدارة سورية الداخل , أعلن الأمير فيصل أن "حكومة عربية مستقلة استقلالا لاشائبة فيه تحت راية الشريف حسين قد تشكلت في دمشق" بينما كان واقعا بالفعل تحت سلطة الجنرال اللنبي الذي عينه حاكما للمنطقة العسكرية الشرقية .

مثلت تلك الإزدواجية في الرؤية السياسية بين الأمير فيصل والسياسة البريطانية إشكالية رافقت العهد الفيصلي منذ بدايته وحتى النهاية , فبينما كان فيصل يمني النفس بأن بريطانيا ستترك له سورية لينشىء فيها مملكته كما فعلت بالنسبة لوالده حين سمحت له بحكم الحجاز , فإن بريطانيا كانت في الوقت ذاته مرتبطة ارتباطا وثيقا باتفاقها مع فرنسا على تقسيم المشرق العربي وفق اتفاقية سايكس بيكو الموقعة عام 1916 .

اتفاقية سايكس بيكو المبرمة بصورة سرية في أيار 1916 :

بدأت المفاوضات في تشرين ثاني / نوفمبر 1915 ، واتخذت الإتفاقية النهائية اسمها من المفاوضين الرئيسيين من بريطانيا وفرنسا ، السير مارك سايكس وفرانسوا جورج بيكو.

كان سيرجي ديميتريفيتش سازونوف حاضرًا أيضًا لتمثيل روسيا ، العضو الثالث في الوفاق الثلاثي .

الخلفية والأحكام

في خضم الحرب العالمية الأولى ، نشأ السؤال عما سيحدث للأراضي العثمانية إذا أدت الحرب إلى تفكك "رجل أوروبا المريض". تحرك الوفاق الثلاثي لتأمين مصالح كل منهم في المنطقة. وكانوا قد اتفقوا في آذار/ مارس 1915 في اتفاق القسطنطينية على منح روسيا القسطنطينية (اسطنبول) والمناطق المحيطة بها ، والتي من شأنها أن توفر منفذًا إلى البحر الأبيض المتوسط ، وفي الوقت نفسه ، كان لدى فرنسا عدد من الإستثمارات الإقتصادية والعلاقات الثقافية في سوريا ، وخاصة في لبنان وولاية حلب التي كانت تضم منطقة كيليكية وأضنة ، بينما أرادت بريطانيا الوصول الآمن إلى الهند عبر قناة السويس والخليج العربي . ولدت اتفاقية سايكس بيكو بسبب الحاجة إلى تنسيق المصالح البريطانية والفرنسية في هذه المناطق.

كانت بنودها على النحو التالي:

(1) ينبغي لروسيا أن تستحوذ على المقاطعات الأرمنية أرضروم وطرابزون وفان وبيتليس ، مع وجود بعض الأراضي الكردية في الجنوب الشرقي.

(2) يجب أن تستحوذ فرنسا على لبنان والساحل السوري ، أضنة ، كيليكيا ، والمناطق النائية المتاخمة لحصة روسيا ، تلك المناطق النائية بما في ذلك عينتاب وأورفة وماردين وديار بكر والموصل .

(3) يجب أن تستحوذ بريطانيا العظمى على جنوب بلاد ما بين النهرين ، بما في ذلك بغداد ، وكذلك موانئ حيفا وعكا على البحر المتوسط .

(4) يجب أن يكون هناك اتحاد كونفدرالي للدول العربية أو دولة عربية مستقلة واحدة ، بين المقتنيات الفرنسية والبريطانية ، مقسمة إلى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية .

(5) يجب أن تكون الإسكندرونة ميناءً حراً .

(6) يجب أن تخضع فلسطين بسبب الأماكن المقدسة لنظام دولي.

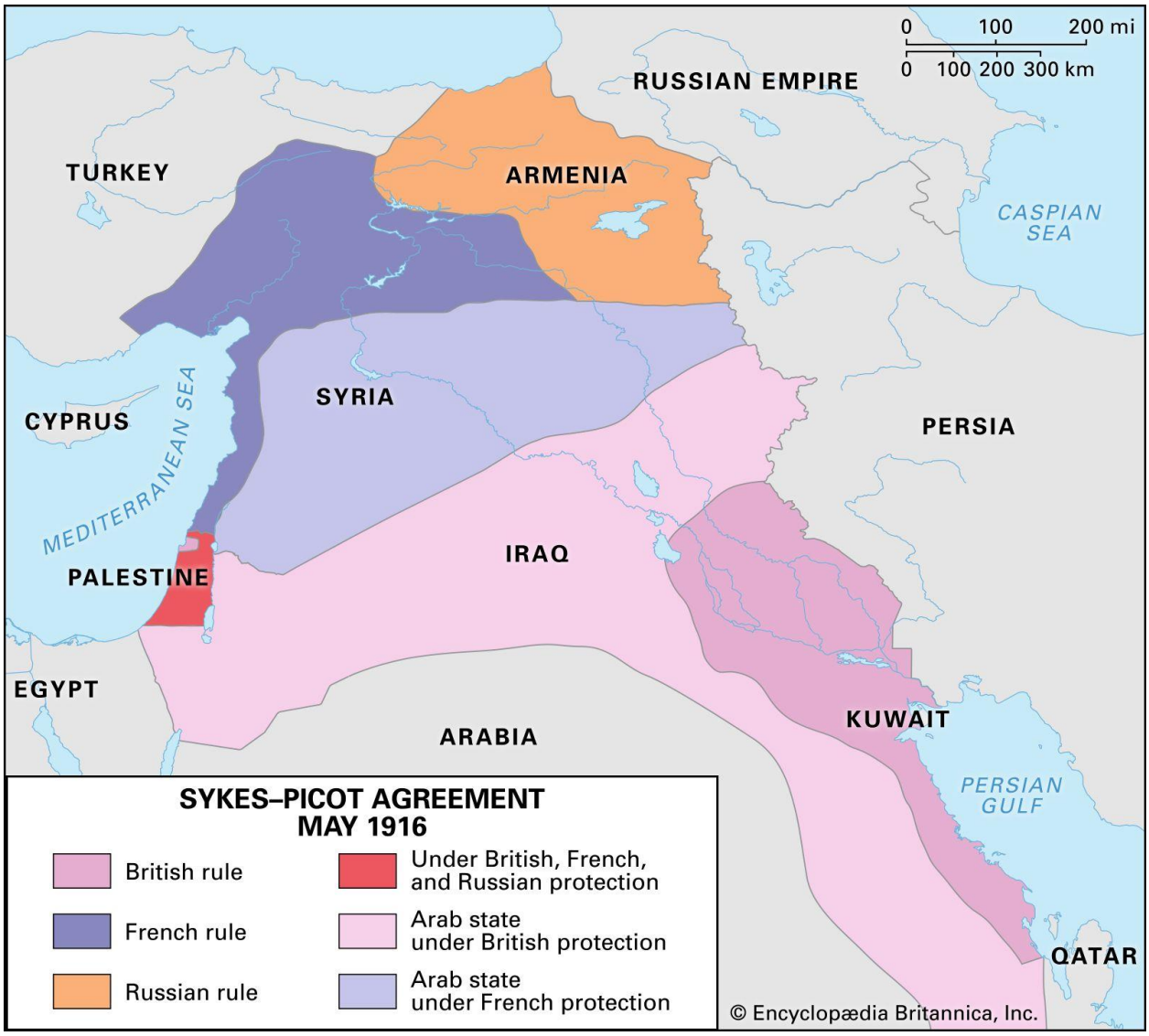

(المرجع: الموسوعة البريطانية)

صحيح أن أخبار تلك الاتفاقية قد تسربت بعد الثورة البلشفية عام 1917 لكن ذلك لم يمنع فيصل من الإستمرار في التحالف مع بريطانيا بعد أن تورط بذلك التحالف هو ووالده , ودخل في شبكة من العلاقات العسكرية والسياسية والمالية مع الدولة البريطانية , وأصبح لورنس مستشاره الشخصي الذي يلازمه كظله حلقة الإتصال مع الحكومة البريطانية .

وحتى وفق سايكس بيكو كان هناك متسع لدولة عربية في الداخل السوري ضمن النفوذ الفرنسي وربما كان فيصل يراهن على ذلك باعتباره الحد الأدنى الذي يمكن أن يحصل عليه بغض النظر عن مصير فلسطين والساحل السوري ولبنان , وهناك مؤشر قوي لذلك في الإتفاق الذي عقده لاحقا مع كليمنصو والذي سنأتي على ذكره في المرحلة الثانية مفصلا .

وعد بلفور :

وعد بلفور (2 تشرين ثاني / نوفمبر 1917) هو بيان تعبر فيه بريطانيا عن دعمها "لتأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين". تم كتابته في رسالة من آرثر جيمس بلفور ، وزير الخارجية البريطاني ، إلى ليونيل والتر روتشيلد ، زعيم الجالية الأنجلو-يهودية. وبالرغم من الخلاف حول المعنى الدقيق للمراسلات ، إلا أن عبارات التصريح كانت متناقضة بشكل عام مع كل من اتفاقية سايكس بيكو (اتفاقية سرية بين بريطانيا وفرنسا) ومراسلات حسين مكماهون .

وعد بلفور ، الذي صدر من خلال الجهود المستمرة لحاييم وايزمان وناحوم سوكولو ، القادة الصهاينة في لندن ، لم يرق إلى مستوى توقعات الصهاينة ، الذين طالبوا بإعادة بناء فلسطين باعتبارها "الوطن" القومي اليهودي. نص الإعلان على وجه التحديد على أنه "لن يتم عمل أي شيء من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية للمجتمعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين". لكن الوثيقة لم تذكر شيئًا عن الحقوق السياسية أو

الوطنية لهذه المجتمعات ولم تشر إليها بالإسم ومع ذلك ، أثار الإعلان آمالًا حماسية بين الصهاينة وبدا تحقيقًا لأهداف المنظمة الصهيونية العالمية.

كانت الحكومة البريطانية تأمل في أن يحشد الإعلان الرأي العام اليهودي ، وخاصة في الولايات المتحدة ، إلى جانب قوات الحلفاء ضد القوى المركزية خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918). كانوا يأملون أيضًا أن يساعد استيطان السكان اليهود الموالين لبريطانيا في فلسطين على حماية الطرق المؤدية إلى قناة السويس في مصر المجاورة وبالتالي ضمان طريق اتصال حيوي للممتلكات الإستعمارية البريطانية في الهند.

تمت المصادقة على وعد بلفور من قبل قوى الحلفاء الرئيسية وتم إدراجه في الإنتداب البريطاني على فلسطين ، والذي تمت الموافقة عليه رسميًا من قبل عصبة الأمم المنشأة حديثًا في 24 تموز/ يوليو 1922.(الموسوعة البريطانية)

لايمكن تجاهل أثر وعد بلفور في تقسيم المنطقة وفرض الإنتدابات البريطانية والفرنسية وإنهاء العهد الفيصلي , وبخلاف وعود بريطانيا للشريف حسين ضمن ماعرف بمراسلات حسين - مكماهون فقد دفع التزام بريطانيا القوي بوعد بلفور السياسة البريطانية لإزالة العقبات أمام الهجرة اليهودية لفلسطين وإنشاء دولة اسرائيل , من أجل ذلك حرصت بريطانيا على فصل فلسطين عن سورية والمنطقة العسكرية الشرقية التي منحت السلطة فيها للأمير فيصل , وحرصت على حكم فلسطين مباشرة عن طريق حاكم عسكري بريطاني , كما تراجعت عن اعتبار المنطقة العسكرية الشرقية ممتدة من معان جنوب الاردن وحتى حلب , وقلصت حدود الكيان العربي الفيصلي إلى حوران

فاصلة بذلك شرقي الاردن عن سورية بعد أن كانت قد اعتبرته جزءا من سورية الداخلية .

بدون شك فقد راقبت بريطانيا بكثير من الإمتعاض والحذر قرار المؤتمر السوري العام في 7 حزيران/ يونيو عام 1919 بخصوص اعتبار فلسطين جزءا لايتجزأ من سورية ورفض مشروع الاستيطان الصهيوني , وتكرار ذلك القرار في المؤتمر السوري العام في 7 آذار/ مارس عام 1920 بالصيغة المشددة ذاتها , وقد كان ذلك يشير إلى أن الحكومة العربية في دمشق في ظل هيمنة القوى القومية العربية عليها وعلى الشارع السوري ستظل شوكة أمام تنفيذ وعد بلفور.

أوكل فيصل الحكم العسكري لرضا باشا الركابي الضابط الدمشقي السابق في الجيش العثماني حتى يظهر بالصفة المدنية المناسبة للمرحلة القادمة , وقد ترك ذلك شيئا من الغموض في السلطة بعد أن توضح أن ارتباط رضا باشا الركابي يفترض أن يكون أيضا مع الجنرال اللنبي باعتباره الحاكم العسكري .

ومن أجل إرساء أسس الدولة تم إنشاء حكومة تحت سلطة رضا باشا الركابي بصيغة مجلس شورى مدني وآخر عسكري , وضم مجلس الشورى المدني نخبة من الإداريين

والحقوقيين العرب الذين عملوا سابقا ضمن الإدارة العثمانية وهم : عادل أرسلان من جبل لبنان (معاونا للحاكم العسكري) , سعيد شقيرمن بيروت مديرا للمالية , اسكندر عمون من جبل لبنان مديرا للعدلية , رشيد طليع من جبل لبنان مديرا للداخلية , سليم موصلي من دمشق مديرا للصحة , ساطع الحصري من حلب مديرا للمعارف , ياسين الهاشمي من العراق رئيسا لميرة الجيش , نوري السعيد من العراق مستشارا للأمير فيصل , جعفر العسكري من العراق مستشارا عسكريا , ولم تقم تلك الحكومة بتغييرات هامة على طريقة الإدارة السابقة , سوى أنها ألغت استخدام اللغة التركية في القضاء وسائر الأجهزة الحكومية , كما أنها أنهت عمل جميع الموظفين الأتراك , واستبدلتهم بموظفين عرب من سورية ولبنان وفلسطين والعراق وأي بلد عربي .

عمل مجلس الشورى كهيئة تشريعية وتنفيذية واقتصر على عدد محدود من المستشارين لسن القوانين والأنظمة والإشراف على عمل المديريات كالصحة والتعليم والزراعة والمالية والأشغال العامة والعدلية .

أما مجلس شورى الحرب فقد ترأسه ياسين باشا الهاشمي الضابط العراقي الرفيع وعهد إليه الإهتمام بالشؤون العسكرية .

ومع تمدد سلطة الحكومة العربية إلى سائر أنحاء سورية الداخلية , حاول العهد الفيصلي الخروج على التقسيم العسكري للمناطق الثلاث بمد نفوذه خاصة نحو لبنان والساحل السوري , لكنه سرعان ما واجه مقاومة ليس من الفرنسيين فقط ولكن من الدولة البريطانية الملتزمة بقوة باتفاقية سايكس بيكو , فتقسيم سورية الطبيعية إلى ثلاث مناطق

عسكرية كان مرحلة تمهيدية لفصل المنطقة من حصة فرنسة عن المناطق من حصة بريطانيا ولم يكن يمت بصلة للضرورات العسكرية التي كانت مجرد ادعاء فارغ .

واجه الأمير فيصل منذ بداية العهد التحدي المتمثل في كونه أميرا حجازيا غريبا عن البيئة السورية وثقافتها الإجتماعية , كما واجه السياسة الفرنسية التي ظهرت أطماعها مبكرا في بلاد الشام .

في مواجهة التحدي الأول لجأ فيصل للإعتماد على جمعية العربية الفتاة ذات الإيديولوجية القومية وقد كان عضوا في لجنتها الادارية , هذه الجمعية التي أنشأت حزب الإستقلال كواجهة سياسية واسعة لعملها وسط الشعب بينما فضلت الإبقاء على عملها بصورة سرية مما يتيح لها هامشا أوسع للمناورة السياسية ومناقشة القرارات الهامة ضمن بيئة محدودة ومغلقة .

أما السياسة الفرنسية المناوئة لأية نزعة استقلالية في سورية فقد اضطرت فيصل للإستعانة ببريطانيا لمواجهتها ولذا كان عليه تذكيرها في كل مناسبة بكونه قد حارب مع الجيش البريطاني وأن العرب وجيش الشمال العربي الذي قاده نحو دمشق قد أسدى خدمات ثمينة للجيش البريطاني , كما أنه في جميع الأعمال التي قام بها لم يخرج مرة واحدة عن رأي الدولة البريطانية وهو لايطالب سوى بدعمه لإنشاء مملكته في

سورية باعتبار ذلك ليس سوى مكافأة ترضية له ولوالده بدل الإخلال بالوعد الذي قطعته الدولة البريطاني على لسان معتمدها في القاهرة السير آرثر هنري مكماهون بدعم فكرة تأسيس مملكة عربية كبرى تشمل الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق تحت سلطة

الشريف حسين وفق المراسلات التي عرفت بمراسلات حسين – مكماهون 1915 – 1916 .

بعد خروجه من دمشق كتب فيصل في 11 أيلول 1920 رسالة إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا يقول فيها : " ....لئن سافرت إلى باريس في شهر تشرين الأول عام 1919 وعملت للمفاوضة مع الحكومة الفرنسية , وعدت لسورية لجعل الشعب هادئا , وأمنع مهاجمة الفرنسيين , عندما كانوا ضعفاء في سورية , وولم يكن لديهم سوى حامية من ألف رجل (يقصد في سورية الداخل بخلاف لبنان والساحل السوري الذي شهد إنزال قوى عسكرية فرنسية في وقت مبكر) ومقاومتهم , الأمر الذي كان سيجعل موقفهم في سورية صعبا للغاية لو أقدمت عليه ... " فما فعلت ذلك كله سوى كي أستطيع القول ذات يوم للدولة التي أعطتني كلمتها , إني نفذت التعليمات التي تلقيتها منها بكل دقة وإخلاص" – كتاب أمين سعيد عن الثورة العربية الكبرى

---- ----------

إعلان السبعة :

عقب إعلان الحكم العربي في دمشق , تدارس الوضع السياسي المستجد أركان حزب الإتحاد السوري في مصر وريث جمعية اللامركزية والذي كان يمثل المثقفين السوريين في مصر , ووقفوا طويلا عند اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور ومراسلات حسين مكماهون والتناقضات التي تتضمنها تلك الإتفاقات بين دعم استقلال ووحدة الشعوب

العربية في دولة واحدة وبين تقاسم السيطرة عليها ومنح فلسطين للمشروع الإستيطاني , وتقدم سبعة منهم في منتصف 1918 بلائحة مطلبية للحكومة البريطانية في القاهرة يطلبون فيه من الحكومة البريطانية تحديد موقفها بجلاء من مستقبل المشرق العربي . علما بأن ذلك الحزب كان لايحبذ فكرة منح الهاشميين حكم سورية ويطلب لسورية الوحدة والإستقلال التام .

في رد الحكومة البريطانية على تساؤلات المثقفين السوريين السبعة والذي سمي *بإعلان السبعة* جاء الآتي :

اعترف البريطانيون:

"بالاستقلال التام والسيادة للعرب في مناطق شبه الجزيرة العربية التي كانت حرة ومستقلة قبل الحرب ، وفي المناطق المحررة منها من السيطرة التركية من خلال جهود العرب أنفسهم خلال الحرب الحالية.

أما الفئة الثالثة وهي مناطق كانت سابقًا تحت السيطرة العثمانية واحتلها الحلفاء خلال الحرب فكانت السياسة المعلنة هي أن "الحكومات المستقبلية يجب أن تستند في هذه المناطق على مبدأ موافقة المحكومين".

أخيرًا ، في المناطق التي لا تزال تحت السيطرة التركية ، أعرب البريطانيون عن رغبتهم في حصول تلك الشعوب على حريتهم واستقلالهم ."

" كتاب بريطانيا والهاشميون والحكم العربي - (1920- 1925) الحل الشريفي - تيموثي ج - باريس "

BRITAIN, THE HASHEMITES AND ARAB

RULE 1920–1925

The Sherifian Solution - TIMOTHY J.PARIS

يمكن اعتبار إعلان السبعة أول تصريح بريطاني للعرب يتحدث عن مبدأ تقرير المصير

لكن لم يكن لذلك التصريح للأسف أي أثر على الإتفاقات الموقعة سابقا بين فرنسا وبريطانيا وعلى وعد بلفور , وكل ماجاء به كان مجرد عمل دعائي يهدف لطمئنة العرب ودفعهم للبقاء ضمن دائرة النفوذ البريطاني .

وبسبب القلق الذي بدأ يساور الشعب في سورية وفلسطين حول مصيرهم ومستقبلهم في ضوء ماتردد حول اتفاقيات سايكس بيكو ووعد بلفور اضطرت الحكومتان الفرنسية والبريطانية لاصدار تصريح لطمئنة العرب وتهدئتهم ومساعدة الأمير فيصل في حكم البلاد والحفاظ على الأمن .

نص مقدمة تصريح 8 تشرين أول / نوفمبر سنة : 1918

" إن السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وانكلترا في الشرق تلك الحرب التي أهاجتها مطامع الألمان إنما هو لتحرير الشعوب التي رزحت أجيالا طويلة تحت مظالم الأتراك

تحريرا تاما نهائيا , وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين لها اختيارا حرا . ولقد أجمعت فرنسا وانكلترا على أن تؤيد ذلك بأن تشجعا وتعينا على إقامة هذه الحكومات والإدارات الوطنية في سورية والعراق - المنطقتين اللتين أتم الحلفاء تحريرهما , وفي الأراضي التي مازالوا يجاهدون في تحريرها (ربما يقصد كيليكيا) "

.

استقبل السوريون دخول فيصل لدمشق بفرح غامر , مستبشرين بعهد جديد يطوي صفحة الحكم العثماني الذي ترك لديهم ذكريات مؤلمة من قسوة جمال باشا خلال فترة حكمه بين 1915 -1917 وإعدامه المثقفين والأحرار العرب , وسوق شبابهم إلى القتال في معارك غير مفهومة بعيدا آلاف الكيلومترات عن أوطانهم حيث لايرجع منهم سوى " طويل العمر " كما يقال , وإفقارهم بفرض ضرائب باهظة لتمويل المجهود الحربي , وأخيرا بمحاولة تتريكهم وفرض اللغة التركية في التعليم والمحاكم وأجهزة الدولة .

وبعد موجة الفرح والإبتهاج التي عمت سورية , بدأ العهد الجديد بالالتفات لبناء الحكم والإدارة , بينما طلب الشريف حسين من فيصل الذهاب لباريس وحضور مؤتمر الصلح والمطالبة بالاستقلال والدولة العربية التي سبق للحلفاء (بريطانيا) الوعد بها مقابل انخراط العرب بالقتال معهم ضد الدولة العثمانية .

.خلال هذه الفترة وقبل مؤتمر الصلح بتاريخ 1 كانون أول/ ديسمبر 1918 وفي اجتماع في السفارة الفرنسية بلندن بين كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسي ولويد جورج نظيره البريطاني اتفقت فرنسا وبريطانيا سرا وبصورة شفهية على تعديل اتفاق سايكس بيكو وذلك بضم الموصل إلى العراق ليكون تحت النفوذ البريطاني مقابل إطلاق يد فرنسا لاحتلال سورية الداخلية والتي رغم أن اتفاق سايكس - بيكو يتضمن أن تكون ضمن النفوذ الفرنسي لكن الواقع العسكري بعد 1918 كان يشير إلى أن بريطانيا هي من تملك اليد العليا فيها كما أن مساهمة الجيش الفرنسي في المعارك ضد العثمانيين وطردهم من سورية كانت مساهمة ضعيفة إلى حد كبير , وبذلك كانت بريطانيا في موقف قوي للمساومة مع فرنسا , لدرجة يمكن القول معها إنه كان بإمكانها الاحتفاظ بسورية الداخل فيما لو أرادت لكن بريطانيا ترددت بعض الوقت حول الإبقاء على الدولة العربية بزعامة فيصل مما يحتفظ لها بشيء من النفوذ في سورية , ثم اتفقت مع فرنسا على تسليمها سورية الداخل ومن الممكن أن تكون قد اشترطت في البداية على فرنسا الإبقاء على العهد الفيصلي تحت ظل الانتداب الفرنسي, لكن الواضح أنها في النهاية قد حسمت المسألة بالسماح لفرنسا بطرد فيصل وإنهاء المملكة العربية السورية واحتلال الجيش الفرنسي سورية بالقوة ويتضح ذلك من نصيحة الجنرال اللنبي لفيصل بالقبول بإنذار غور وعدم مقاومة فرنسا بعد انسحاب الجيش البريطاني من سورية بصورة تامة وكذلك الإتفاق المعلن في 26 نيسان/أبريل 1920 في مؤتمر سان ريمو وكان ذلك حكما بإعدام الدولة العربية الوليدة في دمشق ولابد أن ذلك التخلي ارتبط بازدياد قوة ونفوذ الحركة الوطنية في سورية وتيارها الذي اكتسب بعدا شعبيا واسعا بحيث لم يعد باستطاعة فيصل

احتواء تلك الحركة الوطنية, وقد اتضح ذلك بصورة جلية برفض المؤتمر السوري وجمعية العربية الفتاة واللجنة الوطنية العليا للدفاع التي تمثل لجان الأحياء مشروع اتفاق فيصل – كليمنصو الذي يعترف بالإنتداب الفرنسي على سورية مع الإبقاء على كيان الدولة بزعامة فيصل أي بدولة منقوصة السيادة , وهكذا أنهى موقف المؤتمر السوري ومن ورائه الحركة الوطنية السورية الخلاف بين فرنسا وبريطانيا حول إبقاء كيان الدولة السورية بزعامة فيصل , ودفع بريطانيا للتسليم لفرنسا باحتلالها لسورية وإجهاض مشروع المملكة السورية العربية بعد أن أوشك أن يخرج للوجود (*).

(*) كتب رئيس الوزراء الفرنسي في 4 كانون ثاني 1916 حول المفاوضات مع بريطانيا من أجل سورية

" إن انكلترا تعترف لنا بالسيادة التامة على الاسكندرونة وكيليكيا والبلاد الكائنة ماوراءها حتى الموصل ...وكذلك تقبل اليوم بوضع لبنان مع بيروت وطرابلس الشام تحت سلطتنا , ولكنها لاتترك لنا سورية إلا تحت سيادة أمير مكة مخالفة بذلك اتفاقات 1912 " – من كتاب يوم ميسلون - ساطع الحصري ص60

وكتب فوزي القاوقجي في مذكراته : "كان من أهم العوامل التي حدت ببريطانيا إلى تقديم النصح لفيصل لقبول إنذار غورو رغبتها بالتخلص من الحكومة العربية الفتية في

سورية (اقرأ أيضا الديمقراطية السورية) والقضاء على نفوذ دمشق التي أضحت معقلا لأحرار رجال العرب خاصة رجالات العراق الذين أمدوا الثورة القائمة في العراق آنئذ بالأموال والرجال والأسلحة وأسندوهم بنفوذهم السياسي والأدبي , وعجز الانكليز عن إخمادها مع كثرة ماحشدوا من قواهم وفقدوا عددا كبيرا من القتلى والجرحى يزيد عن 10000 جندي كما فقدوا كثيرا من معداتهم التي استولى عليها الثوار كما أسروا كثيرا من ضباطهم وجنودهم "

غادر فيصل دمشق إلى باريس في 18 تشرين ثاني / نوفمبرعام 1918 واستطاع حضور مؤتمر الصلح المنعقد في 18 كانون ثاني 1919 بصعوبة بعد رفض فرنسا لذلك الحضور ووساطة الدولة البريطانية .

بقي فيصل في أوربة حتى نيسان / ابريل 1919 أي ما يقارب خمسة أشهر بعيدا عن سورية , ضمن محاولة مكثفة لإقناع السياسيين الأوربيين والأمريكيين الذين كانوا يحضرون مؤتمر الصلح في باريس بالموافقة على استقلال العرب , وخلال تلك الرحلة توصل فيصل إلى أن فكرة الدولة العربية الكبرى لم تعد فكرة واقعية ضمن السياسة العالمية بعد الحرب العالمية الأولى وتوازناتها التي يعبر عنها مؤتمر باريس , بالتالي فقد اقتصر في مطالبته مؤتمر السلام على استقلال ووحدة سورية الطبيعية , لكن فرنسا

اعترضت مطالبته باستقلال سورية باعتبارأن مؤتمر الصلح قد رضي باستقباله كأمير حجازي وكقائد عسكري عمل مع الحلفاء في الحرب وأن ليس لديه تمثيل للشعب السوري ليطالب بالإستقلال نيابة عنه .

ويذكر هنا أن الحكومة الفرنسية والصحافة الفرنسية ظلت تلقبه بالأمير الحجازي حتى انتهاء العهد الفيصلي حين طلب منه غورو مغادرة سورية والعودة لبلاده الحجاز .

اجتماع فيصل مع حاييم وايزمان وتوقيعه وثيقة اتفاق :

سعى الأمير فيصل إلى حشد كل تأييد ممكن ضمن القوى الغربية لصالح مشروع الدولة السورية , وفي المقدمة بريطانيا التي حارب معها خلال الحرب العالمية الأولى مذكرا إياها باستمرار بوعدها لوالده الشريف حسين بدولة عربية كبرى , ثم مع الولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها ويلسون الذي كان يعلن سياسة تحررية تناصر حق الشعوب في تقرير مصيرها, وضمن حملته تلك اجتمع مع رئيس المنظمة الصهيونية حاييم وايزمان في 3 كانون ثاني/ يناير 1919 قبل مؤتمر باريس بحوالي إسبوعين , ويظهر الإتفاق أن فيصل في سعيه لتأمين دعم المنظمة الصهيونية لمشروع المملكة السورية ضد السياسة الفرنسية لم يعد ينطلق من التزام قومي عربي مبدئي بقدر ماكان يتحرك ببراغماتية محددا هدفه بما يمكن الحصول عليه من الدول العظمى متجاهلا مخاطر مشروع الإستيطان الصهيوني بخلاف من حوله من المثقفين والوطنيين السوريين .

نص اتفاق فيصل وايزمان :

إن الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمن ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنها، يدركان القرابة الجنسية والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي ويتحقق أن أضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية هو في اتخاذ أقصى ما يمكن من التعاون سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي بينهما فقد اتفقا على المواد التالية:

1 - يجب أن يسود جميع علاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين أقصى النوايا الحسنة والتفاهم المخلص وللوصول إلى هذه الغاية تؤسس ويحتفظ بوكالات عربية ويهودية معتمدة حسب الأصول في بلد كل منهما.

2 - تحدد بعد اتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدول العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين.

3 - عند إنشاء دستور إدارة فلسطين تتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر سنة 1917.(وعد بلفور)

4 - يجب أن تتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع والحث عليها وبأقصى مايمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الإسكان الواسع والزراعة الكثيفة. ولدى اتخاذ مثل هذه الإجراءات يجب أن تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين المستأجرين العرب ويجب أن يساعدوا في سيرهم

نحو التقدم الاقتصادي. (يتكلم هنا عن حقوق الأجور للعمال الزراعيين العرب وليس عن حقوق الفلسطينيين بأرضهم ووطنهم !)

5 - يجب أن لا يسن نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأي طريقة ما في ممارسة الحرية الدينية ويجب أن يسمح على الدوام أيضا بحرية ممارسة العقيدة الدينية والقيام بالعبادات دون تمييز أو تفضيل ويجب أن لا يطالب قط بشروط دينية لممارسة الحقوق المدنية أو السياسية.

6 - إن الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين.

7 - تقترح المنظمة الصهيونية أن ترسل إلى فلسطين لجنة من الخبراء لتقوم بدراسة الإمكانيات الاقتصادية في البلاد وأن تقدم تقريرا عن أحسن الوسائل للنهوض بها وستضع المنظمة الصهيونية اللجنة المذكورة تحت تصرف الدولة العربية بقصد دراسة الإمكانيات الإقتصادية في الدولة العربية وأن تقدم تقريرا عن أحسن الوسائل للنهوض بها وستستخدم المنظمة الصهيونية أقصى جهودها لمساعدة الدولة العربية بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية في البلاد.

8 - يوافق الفريقان المتعاقدان أن يعملا بالاتفاق والتفاهم التامين في جميع الأمور التي شملتها هذه الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح.

9 - كل نزاع قد يثار بين الفريقين المتنازعين يجب أن يحال إلى الحكومة البريطانية للتحكيم .

وقع في لندن، إنجلترا في

اليوم الثالث من شهر كانون ثاني سنة 1919 .

حاول فيصل إيجاد مخرج للتنصل من المعاهدة بوضع ملاحظة هامشية تفيد باشتراط حصول " العرب " على مطلبهم في دولة مستقلة , لكن ذلك لم يكن ذا أهمية مقارنة بماجاء في المعاهدة من اعتراف صريح بالمشروع الصهيوني والدعوة لدعمه بكل الطرق دون التطرق لحقوق الشعب الفلسطيني وكأن لاوجود له في فلسطين .

فالمهم لم يكن قط الطابع الحقوقي للمعاهدة والمنظمة الصهيونية لم تكن تعول على فيصل أكثر من الإعتراف بالمشروع الصهيوني وعدم الوقوف بوجه ذلك المشروع .

لايمكن تبرير هذا الإتفاق بعدم إدراك فيصل لخطر مشروع الاستيطان في حين أن جميع من حوله من الوطنيين السوريين والعرب كانوا مدركين لخطر ذلك المشروع إدراكا تاما , ويتضح ذلك من مقررات المؤتمر السوري العام الأول , كما لايمكن تبريره بمناورة سياسية من أجل تأمين دعم المنظمة الصهيونية لمشروع الدولة العربية , ويعكس اتفاق فيصل - كليمنصو اللاحق والذي جرى فيه تجاهل تام لفلسطين وتسليم بالانتداب الفرنسي على لبنان وغموض وضع الساحل السوري والموافقة على إبقاء موضوع حدود الدولة السورية رهن الدول الكبرى طبيعة التفكير ذاته الذي قاد فيصل للتوقيع على تلك المعاهدة التي تشكل لطخة سوداء في تاريخه السياسي لايمكن التغافل عنها .

صورة للاتفاقية تظهر توقيع فيصل وملاحظته الهامشية إلى اليمين في الأسفل.

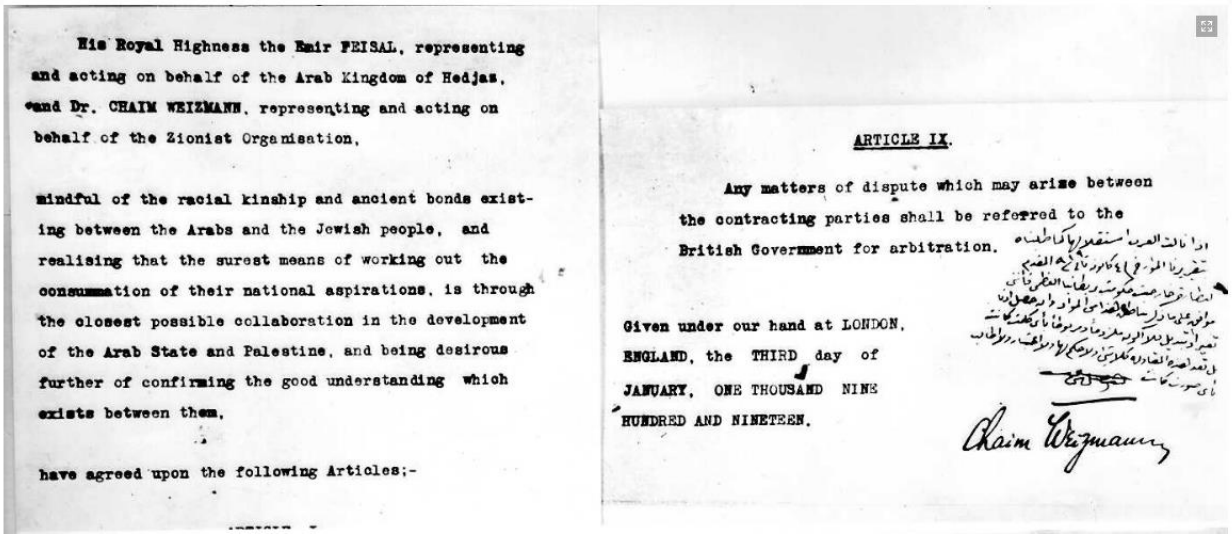

His Royal Highness the Emir FEISAL, representing and acting on behalf of the Arab Kingdom of Hedjas, and Dr. CHAIM WEIZMANN, representing and acting on behalf of the Zionist Organisation,

mindful of the racial kinship and ancient bonds existing between the Arabs and the Jewish people, and realising that the surest means of working out the consummation of their national aspirations is through the closest possible collaboration in the development of the Arab State and Palestine, and being desirous further of confirming the good understanding which exists between them,

have agreed upon the following Articles:-

ARTICLE IX.

Any matters of dispute which may arise between the contracting parties shall be referred to the British Government for arbitration.

Given under our hand at LONDON, ENGLAND, the THIRD day of JANUARY, ONE THOUSAND NINE HUNDRED AND NINETEEN.

Chaim Weizmann

دفع الإعتراض الفرنسي على تمثيل فيصل لسورية للطلب من جمعية العربية الفتاة في دمشق وأنصار العهد الجديد تنظيم حملة واسعة لإرسال برقيات التأييد لفيصل والتأكيد على كونه يمثل مطالب الشعب السوري في مؤتمر السلام من قبل الوجهاء والأعيان والمثقفين ورجال أحياء دمشق , لكن تأييد بريطانيا ورعايتها لفيصل كان السبب الأهم في غض النظر عن اعتراضات فرنسا واستمرار مشاركة فيصل في المؤتمر .

مؤتمر باريس للسلام 1919 - 1920 :

عقد في باريس بعد الحرب العالمية الأولى وفي ضوء نتائجها العسكرية مؤتمر للمنتصرين في الحرب , لوضع الأسس لنظام عالمي جديد يضمن السلام العالمي , ويعيد رسم حدود الدول بعد انفراط عقد الإمبراطوريات النمساوية - المجرية والعثمانية والألمانية , ويقوم بالتصديق على معاهدات استسلام ماسمي بدول المحور المهزومة وإعطائها طابعا حقوقيا دوليا مستداما .

أنجز المؤتمر خمس معاهدات سلام رئيسية هي : معاهدة فرساي مع ألمانيا في 28 حزيران / يونيو 1919 وقد رفضت الولايات المتحدة توقيعها وانسحبت من المؤتمر , معاهدة سان جرمان مع النمسا في 10 ايلول/ سبتمبر 1919 , معاهدة نوي مع بلغاريا في 27 تشرين أول/ اوكتوبر 1919 , معاهدة تريانون مع المجرفي 4 حزيران/يونيو 1920 ومعاهدة سيفرفي 10 آب/ أغسطس 1920 التي ألغتها معاهدة لوزان مع تركيا عام 1923 . ويتضح من تواريخ توقيع المعاهدات مع بلغاريا والمجر وتركيا أن مؤتمر السلام بقي بعد انتهاء اجتماعات المؤتمر في 16 كانون ثاني/يناير 1920 ممثلا بمجلس السلم الذي يضم الأربعة الكبار والذي تحول لاحقا بعد انسحاب الولايات المتحدة إلى مجلس ثلاثي يضم فرنسا وبريطانيا وايطاليا , وهو الذي قام بالتصديق لاحقا على قرار مؤتمر سان ريمو بالإنتداب على سورية ولبنان وفلسطين والعراق وبالتالي اتخذت تلك الإنتدابات طابعا حقوقيا دوليا بتصديق عصبة الأمم عليها لاحقا .

أيضا من المهم ملاحظة تاريخ التصديق على معاهدة فرساي مع ألمانيا في 28 حزيران/ يونيو 1919 لتقدير مدى انشغال الدول الكبرى المنتصرة في الحرب في الإنتهاء من

وضع شروط استسلام ألمانيا والخلافات التي جرت بينهم خلال ذلك خاصة مع الولايات المتحدة التي لم توقع على الاتفاقية وانسحبت من المؤتمر .

وكان لانسحابها أثر سلبي في إهمال تقريرلجنة كنغ - كراين ضمن المؤتمر.

كما ساهم انشغال الحلفاء في المؤتمر بوضع شروط معاهدة سيفر مع تركيا في تأخير تفاهمهم حول سورية حتى 26 نيسان/ ابريل 1920 (مؤتمر سان ريمو) .

لكن المهمة الأكثر حيوية كانت في تقاسم غنائم الحرب بين المنتصرين , وقد شملت تلك الغنائم المستعمرات التي كانت عائدة لدول المحور , وكذلك أراضي البلدان الخارجة من رحم الإمبراطوريات التي فككتها الحرب , والتي اعتبرها المؤتمر " أراضي العدو المحتلة " ووضع لها تصنيفا من ثلاث فئات : الفئة الأولى أراضي العدو المحتلة التي تقطنها شعوب متحضرة قادرة على إدارة شؤونها بنفسها مثل بلغاريا وصربيا والجبل الأسود , والفئة الثانية : تضم شعوبا نصف متحضرة مثل العرب الذين لايستطيعون إدارة شؤونهم سوى بمساعدة إحدى الدول الراقية لفترة تتحدد بوصولهم درجة الرقي المطلوبة وذلك هو الأساس النظري لفكرة الانتداب . أما الفئة الثالثة فتضم سكان المستعمرات الأفريقية ومن يماثلهم من حيث درجة الرقي فينبغي أن يعهد إلى الدول الراقية بالحكم المباشر في تلك البلدان والعمل لتمدين السكان بكل الوسائل الحديثة

في البدء تشكلت نواة المؤتمر من عشرة دول " مجلس العشرة" الذي احتكر صنع القرارات للمؤتمر , ثم تقلص ذلك المجلس بخروج الدول التي وجدت نفسها غير معنية باستمرار العضوية لأسبابها الخاصة إلى أربعة دول هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الأمريكية .

من أهم نتائج المؤتمر إنشاء ماسمي بعصبة الأمم المتحدة , ومعاهدة فرساي للصلح (الإستسلام) مع ألمانيا , انتهى مؤتمر باريس رسميا مع إعلان إنشاء عصبة الأمم في 16 كانون الثاني/ يناير 1920 , لكن ذلك لايعني بالضرورة انتهاء عمل " مجلس الأربعة " الذي أشرف لاحقا على معاهدة سيفر مع تركيا عام 1920 ثم على إلغاء تلك المعاهدة بمعاهدة لوزان 1923 والذي صدق لاحقا على قرار مؤتمر سان ريمو المنعقد في ايطاليا بين فرنسا وبريطانيا بمقرراته بخصوص فرض الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان والبريطاني على العراق وفلسطين ضمن الحدود التي رسمت بموجب الإتفاق بين فرنسا وبريطانيا .

بالنسبة للمشرق العربي فقد قرر المؤتمر فصل المناطق العربية نهائيا عن الدولة العثمانية والإنتداب على سورية ولبنان والعراق وفلسطين باعتبار شعوب البلاد واقعة ضمن الفئة الثانية , لكنه حدد لذلك الانتداب بعض الشروط ومنها أن يكون موافقا لرغائب الشعوب الواقعة تحت الانتداب من حيث اختيارها الدولة المنتدبة , وأن يتم لفترة محددة فقط , وأن لايكون طريقا لنهب تلك الشعوب واستغلالها , وكل ذلك لم يؤخذ بالإعتبار في أرض الواقع بالنسبة للمشرق العربي .

نص قرار مؤتمر السلم فيما يخص المشرق العربي :

المادة 1 - لمثل هذه الأسباب , ولاسيما لسوء الادارة التركية التاريخية في معاملة الشعوب الخاضعة لها , وللمذابح الأرمنية الهائلة وسواها , في السنوات الخمس المتأخرة قرر الحلفاء والدول المشتركة معهم , فصل أرمينية وسورية والعراق وفلسطين وبلاد العرب فصلا تاما عن المملكة التركية من دون إلحاق ضرر بسكان الأقسام الأخرى من المملكة التركية .

المادة 2 - قررت الدول المتحالفة والدول المشتركة معها أنه نظرا للفرصة السانحة للبت في مصير المستعمرات والأراضي التي كانت لألمانيا وتركيا , وهي مأهولة بسكان لا يستطيعون الوقوف وحدهم - بالنسبة لأوضاع العالم الحاضرة - العمل في هذه الأراضي بمبدأ ترقية وإسعاد هذه الشعوب الذين يعتبرون وديعة مقدسة في ذمة المدنية , وأن ينص على ذلك في دستور جمعية الأمم .

المادة 3 - اقتنع الحلفاء بعد الدرس الدقيق أن أفضل طريقة للقيام بهذا المبدأ هو وضع هذه الشعوب في عهدة الأمم الراقية التي تكون بالنسبة إلى مواردها أو خبرتها أو مركزها الجغرافي أقدر على القيام بهذه المهمة فيجب أن تقوم بمهمة الإشراف كأوصياء من قبل جمعية الأمم .

المادة 4 - تعتقد دول الحلفاء والدول المشتركة معها أن طبيعة الوصاية يجب أن تكون حسب درجة السكان من الرقي ومركز البلاد الجغرافي وحالتها الاقتصادية ومشاكل هذه الظروف .

المادة 5 - لما كان الحلفاء يعتبرون أن بعض هذه الشعوب التي كانت خاضعة في السابق للمملكة التركية بلغت من الرقي درجة يصلح الاعتراف بها كأمم مستقلة محتاجة إلى استمداد النصائح الإدارية ومساعدة دولة وصية حتى تصير قادرة على السير وحدها فإن رغائب هذه الشعوب يجب أن يكون لها مقام أولي في اختيار الدولة الوصية .

(كتاب سعيد أمين " الثورة العربية الكبرى - الجزء الثاني - ص 25-26 ")

فيصل في مؤتمر السلام :

في 6 شباط/ فبراير حضر فيصل للمؤتمر ومعه الكولونيل لورانس وألقى خطابه الذي لخص فيه مطالبه في النهاية في الإعتراف ببلاد العرب وحدة جغرافية مستقلة برئاسة والده الشريف حسين , وتنفيذ الوعود المقطوعة للعرب بالإستقلال التام , مع الإعتراف لسورية بالإستقلال التام على أن تستعين بمستشارين أجانب تستخدمهم حسب الحاجة وعلى أن تكون متصلة بحكومة الحجاز في شؤونها الخارجية.

يتضح من خطاب فيصل محاولته التوليف بين مطالب والده القديمة في دولة عربية كبرى برئاسته حسب الوعد البريطاني وبين التركيز على سورية الطبيعية باعتبارها الهدف الواقعي المباشر , مع إشارة عابرة لاستعداده قبول شكل من أشكال الانتداب التي أقرها المؤتمر .

واجه فيصل وفدا كانت الحكومة الفرنسية قد أحضرته مثله شكري غانم رئيس الجمعية السورية - اللبنانية في باريس ادعى أيضا تمثيل السوريين , وطالب بوحدة سورية تحت إشراف فرنسي .

وفي اجتماع لاحق في 15 شباط استمع المؤتمر إلى داوود عمون رئيس الوفد اللبناني الذي طالب باستقلال تام للبنان بحدوده التي كان عليها قبل 1860 مع استقلال إداري بإشراف فرنسا .

مثلت مطالبة عمون وشكري غانم تحديا لمطالبة فيصل , أضيف للتحدي المتمثل في الطعن بكونه ممثلا للشعب السوري من قبل فرنسا .

انتهت السلطة الفعلية في مجلس الأربعة لتكون بيد بريطانيا وفرنسا بعد انسحاب الولايات المتحدة من الساحة الدولية , وتقلص نفوذ ودور ايطاليا خاصة فيما يتعلق بدول المشرق العربي .

أحدث تدخل الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة ويلسون في بداية المؤتمرإرباكا للسياستين البريطانية والفرنسية بالنسبة للمنطقة العربية , فويلسون الذي اشتهر بمبادئه الأربعة عشر وقد تلخصت تلك المبادىء في الخطاب الذي تناول فيه ويلسون مباشرة ما اعتبره أسبابًا للحرب العالمية من خلال الدعوة إلى إلغاء المعاهدات السرية، والحدّ من

التسلّح، وتعديل المطالبات الإستعمارية لصالح كل من الشعوب الأصلية والمستعمرين، وحرية البحار. قدّم ويلسون أيضًا مقترحات من شأنها أن تضمن السلام العالمي في المستقبل. على سبيل المثال، اقترح إزالة الحواجز الاقتصادية بين الدول، وطرح وعد تقرير المصير للأقليات القومية، وإقامة منظمة عالمية تضمن «الاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية للدول الكبيرة والصغيرة على حد سواء» - عصبة الأمم.

وضمن هذا السياق وافق مؤتمر باريس على إرسال لجنة إلى سورية مهمتها استطلاع رغائب الشعب السوري , سواء لجهة الإتحاد في دولة واحدة تضم سورية الطبيعية أو لجهة الدولة التي يوافق الشعب على أن تكون منتدبة عليه حسب مقررات مؤتمر باريس . (لجنة كنغ - كراين) .

لم يرق تشكيل اللجنة لفرنسا وبريطانيا , وسرعان ما حاولت الدولتان عرقلة عملها بسحب المندوبين الفرنسي والبريطاني من اللجنة تحت ذرائع مختلفة , لكن ويلسون أصر على إرسال اللجنة لسورية .

وهكذا سافرت اللجنة لسورية , وسط شعورملتبس من الإنتصار السياسي لفيصل , وتفاؤل ثبت فيما بعد أنه كان مجرد أوهام .

عاد فيصل من أوربة قبل وصول لجنة كنغ - كراين بحوالي شهرين , وساد الإعتقاد بأن مصير البلاد أصبح متوقفا بالفعل على ما ستخرج إليه اللجنة وتقريرها الذي سترفعه لمؤتمر باريس , ولم يبق على السوريين سوى أن يحسنوا التعبير عن أهدافهم الوطنية بالطرق الحديثة التي يفهمها الغرب وأهمها التمثيل الديمقراطي .

كما عاد فيصل مقتنعا أن أهم عقبة تقف في وجهه في الحوار مع المجتمع الدولي هي انتزاع شرعية زعامته السورية التي أثارت ضدها فرنسا عاصفة من الشك معترفة فقط بمركزه العسكري كقائد سابق لجيش الشمال العربي المنخرط ضمن التحالف الغربي وأمير حجازي وحاكم عسكري مكلف من قوات التحالف بحكم المنطقة العسكرية الشرقية خاضع لقائد قوات التحالف في المنطقة الجنرال اللنبي .

اتصف المزاج السياسي في سورية خلال الفترة السابقة وحتى عقد المؤتمر السوري العام بالعداء الشديد للسياسة الفرنسية , كتب الكولونيل كورنواليس الفرنسي في تقريره الذي أعده للحكومة الفرنسية عن الأوضاع في دمشق التالي : " إن رجال السياسة في دمشق يعتنقون مبدأين أساسيين لاثالث لهما , أولا يريدون الإستقلال , وثانيا أنهم لايريدون فرنسا , إن شعور العداء لدى النخبة منهم نحو الفرنسيين عنيف إلى حد يدعو للاستغراب " (كتاب المؤتمر السوري - ماري ألماظ شهرستان - ص23).

وفي دمشق وبتاريخ 20 شباط/فبراير 1919 قامت مظاهرات شعبية كبيرة معادية للسياسة الفرنسية تجاه سورية , وقد فجر تلك المظاهرات وموجة العداء ضد فرنسا تصريح وزير الخارجية الفرنسية بيشون في جلسة مناقشة للجمعية الوطنية الفرنسية " بأن لفرنسا في سورية ولبنان وفلسطين حقوقا ومصالح لاتقبل الإعتراض يجب علينا صيانتها نظرا الى أنها مؤسسة على أسس التقاليد التاريخية والإتفاقات المتقابلة ورغائب الأهالي منذ أمد طويل ونحن مضطرون إلى تأييد تلك الرغائب" وربما كان يوجه ذلك ليس للسوريين ولكن لبريطانيا في خضم التنافس على سورية .

هل حقا تكللت جولات فيصل في أوربة ومؤتمر باريس بالنجاح أم واجهت الفشل ؟

في الغالب فقد استطاع فيصل تقدير الموقف الدولي في سفره الطويل ومقابلاته العديدة مع المسؤولين الغربيين بما تميز به من الذكاء الفطري وربما ساعده مستشاره الذي ظل يرافقه كظله توماس ادوارد لورنس في فهم الأجواء السياسية الدولية في عالم مابعد الحرب .

وربما توصل فيصل إلى تقدير صعوبة الموقف البالغة , لكنه ظل يكافح بعناد من أجل تحصيل مايمكن تحصيله من خلال الهامش الضيق المتاح للحركة الديبلوماسية .

وقد صرح هو لبعض المحيطين به عن شعوره باليأس والإحباط من نتائج رحلته , لكنه كان حريصا على بث الأمل في خطبه وتصريحاته الموجهة للشعب , وإعطاء صورة وردية لكنها زائفة عن حقيقة نوايا الدول الكبرى تجاه سورية , وكأن كل شيء على مايرام وأن مؤتمر السلام بانتظار معرفة رغائب الشعب السوري ليمنح الشعب السوري مايريده ويطمح إليه .

اجتمع فيصل في 14 أيار/ مايو عام 1919 في دار البلدية بدمشق بوفود من أعيان دمشق للتمهيد لعقد مؤتمر وطني عام وضعت له مهمتان , تقديم لائحة بالمطالب الوطنية السورية الى لجنة كنغ - كراين , والبدء بإعداد الدستور السوري , أما الهدف غير المعلن فكان تضمين اللائحة المطالبة بالأمير فيصل ملكا دستوريا على سورية وبذلك يكون فيصل قد وضع اللبنة الأولى لشرعنة حكمه لسورية وأصبح بإمكانه التحدث باسم السوريين بناء على قرار المؤتمر السوري العام . وفي اجتماعه التمهيدي حصل فيصل على تشجيع غير عادي من قبل السوريين للسير خلف زعامته وبالتالي أصبح الطريق مفتوحا لعقد المؤتمر السوري العام .

وخلال تلك الفترة وقبل المؤتمر السوري العام كانت فرنسا قد بدأت بمشروع السيطرة التامة على لبنان بوصول فرق إمداد عسكرية للموانىء اللبنانية , وتشجيع " مجلس إدارة جبل لبنان " على إعلان استقلال لبنان بحدوده " التاريخية والجغرافية والطبيعية " , كما بدأ الجيش الفرنسي يزيد التوغل نحو الساحل السوري شمالا حتى إنطاكية واسكندرون وكيليكية مرسخا بذلك أحد بنود اتفاق سايكس بيكو الذي ينص على منح الساحل السوري من جنوب لبنان وحتى إنطاكية وكيليكية للنفوذ الفرنسي المباشر .

المؤتمر السوري العام الأول :

من أجل ذلك وربما باقتراح من اللجنة الإدارية لجمعية العربية الفتاة التي ظلت باستمرار المرجع السياسي العربي- السوري لفيصل حتى ظهر الخلاف بين الطرفين /عقب اتفاق فيصل - كليمنصو بتاريخ 1920/1/6في باريس ثم عودته لدمشق مما سيتم تناوله لاحقا بالتفصيل /. فقد تمت الدعوة لعقد مؤتمر وطني عام في دمشق.

الأعمال التحضيرية للمؤتمر :

قام رضا باشا الركابي رئيس الحكومة العربية بتوجيه الدعوة لانتخاب ممثلين للمؤتمر بطلب من الأمير فيصل , وبسبب الظروف المحيطة بعقد المؤتمر والسرعة المطلوبة

لعقده من أجل قيامه بوظيفته الأولى في تمثيل الشعب السوري أمام لجنة كنغ - كراين فقد جرى الإعتماد على قانون الإنتخاب العثماني الذي كان يتم بموجبه انتخاب الممثلين لمجلس " المبعوثان " على مرحلتين , تتم الأولى وفق القانون الانتخابي (نائب لكل 40000 من السكان مثلا) وبعد ذلك تتم المرحلة الثانية باجتماع النواب المنتخبين وانتخاب مبعوثين لكل لواء (سنجق) أو دائرة انتخابية , أما في حالة المؤتمر السوري فقد جرى تثبيت النواب المنتخبين سابقا في المرحلة الأولى في آخر انتخابات عثمانية كماهم عليه وتكليفهم بانتخاب ممثليهم للمؤتمر (انتخابات الدرجة الثانية) وجرى ذلك في سورية الداخل , أما في المنطقتين الغربية (لبنان والساحل السوري) وفي فلسطين فقد تم ايفاد ممثلين بموجب " مضابط" أي " محاضر " موقعة من الشهود وربما من المخاتير أو القاضي المحلي , ويمكن تصور اجتماع وجهاء المدينة أو القضاء في دار أحدهم وانتخاب ممثلهم للمؤتمر وعمل "مضبطة " بذلك . وهنا لابد من افتراض وجود انقسام في مناطق مثل جبل لبنان حيث توجد نسبة من السكان ترغب في الإستقلال التام عن سورية تحت الإشراف الفرنسي , ومناطق أخرى تتعرض للضغوط السياسية والأمنية لمنع مشاركتها في المؤتمر .

هكذا كان المؤتمر معرضا للطعن في طريقة تشكله ومدى تمثيله للسوريين , وقد ظهرذلك حين وصلت لجنة كنغ - كراين لسورية فلم تقبل كونه ينوب عن السوريين , صحيح أنها قبلت الإجتماع مع اللجنة التي انتخبها المؤتمر وتسلم اللائحة التي قدمها باسم السوريين واستمعت إليهم , لكنها وضعت برنامجا واسعا للقاء مختلف الفئات الإجتماعية في جميع المناطق السورية والإستماع منهم , سوى أن شرعية المؤتمر ترسخت بالفعل داخل سورية عبر جميع المراحل القادمة بسبب التأييد الشعبي الذي كان

يحظى به والصفات التي تمتع بها كوادره الذين غلب عليهم الشباب الحائزون على مقدار من العلم والثقافة.

أما ما يتعلق بالنواب الذين حضروا المؤتمرفتختلف أعدادهم بين عدة مصادر , وبينما ذكرت بعض المصادر أن عدد النواب هو /107/ من مختلف مناطق سورية ولبنان وفلسطين , فإن " خيرية قاسمية " تذكر في كتابها بعنوان" الحكومة العربية في دمشق 1918 - 1920 " أن عدد من حضر جلسة الافتتاح لم يزد عن 69 نائبا من أصل 85 حيث تغيب 16 نائب عن الحضور لأسباب مختلفة .

هناك الكثير من الإعتقاد لدى الدارسين بأن المؤتمر السوري العام كان تمثيلا حقيقيا للشعب في سورية الطبيعية (سورية ولبنان وفلسطين والأردن و كليكية حاليا) وخصوصا في القسم الداخلي من سورية إذ لابد من الإعتراف بوجود قدرهام من التأييد للإنتداب الفرنسي في لبنان والساحل السوري لايتفق مع توجهات المؤتمر . كما أن عدم وجود آلية انتخاب كاملة كما نعرفها اليوم في الدول الديمقراطية , وعدم سماح السلطات العسكرية في لبنان وفلسطين خاصة بإجراء مثل ذلك الإنتخاب , والإعتماد على ناخبي الدرجة الأولى لمجلس "المبعوثان" العثماني في انتخاب النواب للمؤتمر يظل عقبة في دقة وصف المؤتمر بالجمعية التأسيسية التي اتخذها المؤتمر لنفسه لاحقا , خاصة في وضع الدستور .

ولايمنع ذلك من القول إن المؤتمر عبر بقراراته عن إرادة الغالبية من الشعب في معظم الأحيان إن لم يكن في جميع الأحيان وبصورة خاصة تلك المرتبطة بالموقف من الحكومات المتعاقبة أو الإتفاقات والقرارات الدولية , أو حتى سياسات ومواقف الأمير

فيصل ذاته , وأنه ضم نخبة سورية شابة مثقفة وعصرية استطاعت أن تجعل من صوتها الصوت الأعلى في المؤتمر . وحسب دراسة ماري الماظ شهرستان فقد ضمت تلك النخبة عددا من المهن المختلفة شملت المحامين والضباط وعلماء الإسلام وأصحاب الأراضي وزعماء القبائل . كما أن العديد منهم قد تخرج من المعاهد العثمانية المدنية والعسكرية مثل هاشم الأتاسي وسعيد حيدر وابراهيم هنانو وصبحي بركات .

وحسب الدكتورة خيرية قاسمية انقسم المؤتمر إلى كتل ثلاثة : كتلة العربية الفتاة وهيئتها الإدراية المشكلة من : ياسين الهاشمي وعزة دروزة وشكري القوتلي وتوفيق الناطور وأحمد قدري وحزبها حزب الاستقلال العربي القومي الإتجاه وحزب الإتحاد السوري الذي تشكل بمصر برئاسة الأمير ميشيل لطف الله ونائبه رشيد رضا وعضوية عبد الرحمن الشهبندر والشيخ كامل القصاب ورفيق العظم ويدعو لوحدة واستقلال سورية الطبيعية (سورية للسوريين) - كأنه جد القوميين السوريين لكن بعلمانية أقل ومشاركة إسلاميين كرشيد رضا والقصاب - أما الكتلة الثالثة فهي أقلية غير معادية للإنتداب الفرنسي مثل علاء الدين الدروبي ومحمد كرد علي ومحمد الشريقي وعبد الرحمن اليوسف وفوزي البكري وقد كونت في عام 1920 الحزب الوطني لدعم الأمير فيصل في سياسته المهادنة للفرنسيين .

واجه المؤتمر حقيقة تتمثل بتبني مؤتمر باريس لفكرة الإنتداب ووضعه سورية ضمن فئة البلدان التي تحتاج لانتداب دولة " راقية " لمساعدتها في النهوض وتكوين دولة حديثة يمكن أن يتم الإعتراف بها لاحقا غير أن مؤتمر باريس وضع شروطا للإنتداب من ضمنها مراعاة رغائب الشعب وهذا يعني أخذ رأي السوريين فيمن يودون أن تكون دولة الإنتداب عليهم . وليس رأيهم في تطبيق الإنتداب الذي خلص إليه المؤتمر وأقره

وقد ظل ماسبق غامضا في نظر السوريين العاديين , خاصة أن فيصل ومن حوله لم يكونوا حريصين على توضيحه , لكن النخب السورية في المؤتمر كانت على درجة كافية من الإحاطة بقرارات مؤتمر السلام , لذلك أبقت الباب مفتوحا أمام قبول الإنتداب - طالما أن الدول العظمى فرضته في مؤتمر السلام - واحتاطت بطلب أن تكون الدولة المنتدبة هي الولايات المتحدة لمواقفها المعلنة في المؤتمر وخارجه من رفض الإستعمار واحترام حقوق الشعوب آنذاك , فإن اعتذرت الولايات المتحدة عن قبول أن تكون هي الدولة المنتدبة على سورية فبريطانيا . وهكذا صدرت قرارات المؤتمر مطالبة بوحدة سورية الطبيعية بأجزائها الثلاثة التي قسمها القرار العسكري لقيادة جيوش الحلفاء بعد دخول دمشق , واستقلالها التام , ورفض التقسيم , فإذا أصر مؤتمر السلام على تطبيق الإنتداب على سورية فحسب التسلسل السابق . مع رفض الإنتداب الفرنسي .

كما تضمنت القرارات رفض الإستيطان الصهيوني في فلسطين والإتحاد الاقتصادي مع العراق .

وأخيرا وليس آخرا فقد تضمنت القرارات أن تكون سورية الطبيعية الموحدة والمستقلة دولة ملكية - مدنية - نيابية ملكها الأمير فيصل بن الحسين تدار على طريقة اللامركزية وتحفظ فيها حقوق الأقليات .

قراءة في اللائحة المقدمة من المؤتمر السوري العام في حزيران من عام 1919 إلى لجنة كنغ - كراين .

تشكلت لجنة كنغ - كراين بتكليف من مؤتمر السلام العالمي المنعقد في باريس اعتبارا من 18 كانون ثاني/ يناير 1919 بضغط من الرئيس الأمريكي ويلسون الذي حرص على إعلان مبادئه الجديدة الداعية لإنهاء أشكال الاستعمار القديم واحترام حرية وإرادة الشعوب في المؤتمر .

حاولت فرنسا وبريطانيا عرقلة تشكيل اللجنة وانسحب المندوبان الفرنسي والبريطاني منها , لكن إصرار ويلسون على إرسالها كان حاسما .

اجتمع المؤتمر السوري العام في حزيران/ يونيو 1919 لإنجاز مهمتين رئيسيتين : تقديم لائحة بمطالب الشعب السوري للجنة كنغ - كراين بصفته هيئة عامة منتخبة تمثل كافة فئات الشعب , والبدء بكتابة دستور البلاد.

تضمنت اللائحة عشرة بنود مدروسة بدقة شديدة وبلغة متقنة توحي بدرجة عالية من الثقافة الحقوقية والسياسية .

تميز عرض المطالب السورية بتفهم للسياسة الدولية , ومحاولة التأقلم مع مقررات مؤتمر باريس بالرغم من عدم توافق تلك المقررات مع مطالب الشعب السوري في وحدة سورية الطبيعية واستقلالها .

وتبدو براعة ومرونة اللائحة في البدء بعرض المطالب المبدئية في الوحدة السورية والإستقلال التام ثم بعرض عدم الموافقة على تصنيف المؤتمر لسورية بوصفها دولة تحتاج لانتداب دولة متقدمة عليها لمساعدتها في التقدم نحو دولة عصرية يمكن الإعتراف بها في المجتمع الدولي .

لم يأت ذلك الرفض بصيغة قاطعة تنهي العلاقة مع مؤتمر باريس , لكن بطريقة تلفت نظر المؤتمرين إلى الخطأ في ذلك التصنيف الذي وضعت فيه سورية وتمني استدراكه ومراجعته , تقول اللائحة في البند رقم 3 الآتي : " حيث أن الشعب العربي الساكن في البلاد السورية هو شعب لايقل رقيا من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية وليس هو في حالات أحط من حالات شعوب البلغار والصرب واليونان في مبدأ استقلالها , فإننا نحتج على المادة 22 الواردة في عهد جمعية الأمم القاضية بإدخال بلادنا في عداد الأمم المتوسطة التي تحتاج إلى دولة منتدبة . "

مع ذلك لم تترك اللائحة الأمور عند هذا الحد بل احتاطت للإحتمال الأسوأ وهو فرض الإنتداب , بالتالي فضلت وضع الأولوية في حالة إصرار مؤتمر باريس على الإنتداب على سورية للدولة الأمريكية التي بشر رئيسها ويلسون بانتهاء عهد الإستعمار وكان لجهوده الأثر الأكبر في ارسال لجنة كنغ - كراين , فإذا اعتذرت الولايات المتحدة عن

النهوض بتلك المهمة فالأولوية الثانية للدولة البريطانية التي لمس السوريون في تجربة إدارتها لمصر حرصها على السماح بهامش للحريات السياسية ومراعاة مشاعر السكان

كتب ديفيد فرومكين في كتاب : " سلام مابعده سلام - ولادة الشرق الأوسط بين 1914 - 1922 " بخصوص الفرق بين الإستعمار البريطاني والفرنسي الآتي : " أما في القاهرة فقد كانوا يرون بونا شاسعا بين إدارة بريطانية وإدارة فرنسية , ولم يكن هذا بلا سبب البتة , إذ كان اعتقاد كلايتون وزملاؤه أن الادارة الاستعمارية الفرنسية لن تتيح للبلاد الاحتفاظ بطابعها , إن ما سماه الفرنسيون مهمتهم التمدينية , كان ينظر إليه من قبل البريطانيين على أنه عملية ضم , وغالبا ما كانت هذه العملية تبدو وكأنها تشتمل على فرض اللغة والثقافة الفرنسيتين على مجتمع البلد , أما البريطانيون في مصر وغيرها فقد نأوا بأنفسهم عن أهل البلاد وسكنوا في نواديهم ومجتمعاتهم , وباستثناء إشرافهم على إدارة الحكومة تركوا البلاد وشعبها وشأنهما , وكان هذا في نظر كلايتون وزملائه , أقصى مايمكن أن يطمح إليه العرب من استقلال , ولقد قال أحد زملاء كلايتون لطلاب كلية الأركان العسكرية البريطانية بعد ذلك بسنوات : إن المثقفين العرب يعتبرون الحكم البريطاني البديل الوحيد المحترم للحكم العثماني" .

لكن اللائحة توقفت عند ذلك وعبرت عن الرفض القاطع للإنتداب الفرنسي كما استنكرت ادعاءات فرنسا بحقوق لها في سوريا ولبنان .

تبدو العقلانية في تلك المطالب في عدم القطع مع السياسة الدولية ومؤتمر باريس والسعي للإنسجام مع مقرراته مع الحصول على أفضل مايمكن الحصول عليه دون التفريط بحقوق البلاد فقد استنكرت اللائحة مشروع الإستيطان الصهيوني بصورة تامة وأكدت أن فلسطين جزء من سورية وكذلك لبنان والساحل السوري بل رسمت للمؤتمر حدود سورية الطبيعية من جبال طوروس شمالا إلى العقبة جنوبا ومن البحر المتوسط غربا وحتى مابعد البوكمال شرقا فهي لم تترك لمؤتمر باريس المجال مفتوحا أمام مسألة حدود الدولة السورية .

استمعت لجنة كنغ - كراين إلى مندوبي المؤتمر المكلفين بتقديم اللائحة وشرح مطالب الشعب السوري برئاسة هاشم الأتاسي وعضوية عشرين نائبا , يمثلون مناطق سورية الثلاث , وقامت بحملة استطلاع واسعة شملت فلسطين ولبنان والأردن الحالي واقليم كيليكية الذي كان يعتبر حتى ذلك الوقت أقرب لسورية ووضعت تقريرا بحجم كبير , لكن ذلك التقرير لم يتم تقديمه لمؤتمر باريس إذ كانت الولايات المتحدة قد انسحبت من المؤتمر , وعوضا عن ذلك وضع في خزانة وزارة الخارجية الأمريكية وأقفل عليه , ولم يعلم أحد ما تضمنه حتى العام 1922 بعد أن انتهى كل شيء وكانت سورية قد مر عليها سنتان تحت الاحتلال الفرنسي .

جاء انسحاب الولايات المتحدة من المؤتمر بعد رفضها توقيع معاهدة فرساي مع ألمانيا بما تضمنته من بنود مذلة قاسية برهن التاريخ أنها وضعت حجر الأساس للحرب

العالمية الثانية , لكن انسحابها ترافق مع نزعة انعزالية تجاه السياسة العالمية وخصوصا تجاه مسألة تقرير مصير المشرق العربي الذي اعتبر " أرض العدو المحتلة " وقد تسبب ذلك الإنسحاب في خيبة أمل بالغة لدى الأمير فيصل والحكومة العربية وظل فيصل يلاحق برسائله الحكومة الأمريكية للتدخل بمواجهة السياسة الفرنسية التي اتضح تصميمها على احتلال سورية ولبنان لكن بدون أي جدوى .

بقي الوضع السياسي في سورية ضبابيا خلال الفترة بين حزيران/ يونيو 1919 وحتى 15 أيلول/ سبتمبر 1919 , فلم تكن الآمال قد تبخرت وتلاشت ببناء الدولة واستقلالها , كما ترسخت مكانة المؤتمر السوري العام كمؤسسة تمتلك قدرا من الشرعية يخولها ليس فقط وضع الدستور ولكن مناقشة السياسات الداخلية والخارجية للحكومة .

المرحلة السياسية الثانية :

في 15 أيلول/سبتمبر 1919 وقبله بقليل وجهت بريطانيا وفرنسا الدعوة لفيصل لحضور اجتماع ثلاثي في باريس , ورغم الإهتمام الكبير للأمير فيصل بحضور ذلك الاجتماع لكن فرنسا حرصت على تأخير وصول فيصل لما بعد انتهاء الاجتماع وإعلان نتائجه التي نصت على اتفاق فرنسا وبريطانيا على أن تسحب بريطانيا كافة قواتها العسكرية من سورية وأن تحل القوات العسكرية الفرنسية مكانها على أن لاتدخل تلك القوات المدن الرئيسية السورية الأربعة دمشق وحمص وحماة وحلب والتي تظل القوات العسكرية العربية مكلفة فيها بحفظ الأمن والنظام إلى أن يصدر مؤتمر السلام العالمي قراره النهائي بخصوص سورية .

اصطدم فيصل بصدور ذلك القرار فتوجه إلى لندن لمناقشته مع رئيس الوزراء لويد جورج , لكن الأخير نصحه بالتفاوض مع فرنسة في إشارة لتخلي بريطانيا عن دعم المملكة السورية العربية لصالح السياسة الفرنسية . ومعنى ذلك أن الحكومة البريطانية قد توصلت خلال متابعتها الوثيقة للأوضاع السياسية في سورية إلى أن الحركات الوطنية قد تمكنت من تطويق الأمير فيصل وبدلا من أن يتمكن من تطويعها لصالح السياسة البريطانية فقد أصبح رهينة عندها مما يهدد مشاريعها في الأردن وفلسطين والعراق وقد ظهر مؤشر لذلك عندما قامت القوات العسكرية البريطانية أثناء انسحابها من سورية في 22 تشرين ثاني/ نوفمبر 1919 باعتقال مستشار الشؤون الحربية ياسين الهاشمي المكافىء لوزير الدفاع بتهمة دعم الثوار ضد الجيش الفرنسي والتخطيط للمقاومة ودعم الثوار العراقيين ضد الجيش البريطاني ونقلته إلى سجن الرملة بفلسطين حيث بقي هناك قرابة ستة أشهر قبل إطلاق سراحه .

وخلال تلك الفترة أيضا كانت فرنسا وبريطانيا قد حلت الخلاف بينهما حول الموصل فمنحت فرنسا لبريطانيا السيطرة على الموصل ضمن منطقة نفوذها في العراق , وفي المقابل أطلقت بريطانيا يد فرنسا في سورية وبدلا عن تقييد النفوذ الفرنسي في المنطقة / أ / حسب سايكس بيكو بكونه منطقة لدولة عربية مستقلة بنفوذ فرنسي تم ضم تلك المنطقة (الداخل السوري) لمنطقة الساحل التي منحت فرنسا فيها سابقا الحق في السيطرة المباشرة التامة حسب سايكس بيكو (منطقة اللون الأزرق) أي أن سورية كلها بعد اتفاق 15 ايلول/ سبتمبر اصطبغت باللون الأزرق وأصبحت محمية خالصة للفرنسيين .

بعد أن تأكد فيصل من حقيقة الموقف البريطاني المستجد لم يبق له سوى مساومة الحكومة الفرنسية لتقبل بمملكته وعرشه السوري مقابل قبوله بالإنتداب الفرنسي , وخلال لقائه كليمنصو حاول بكل جهده إقناع الأخير بحسن نواياه تجاه فرنسا وأن الدولة الفرنسية بإمكانها الإعتماد عليه كما اعتمدت عليه الدولة البريطانية خلال الفترة الطويلة السابقة , وبعد تردد وافق رئيس الوزراء كليمنصو على منح فيصل فرصة أخيرة لإثبات قدرته على احتواء المعارضة الشعبية الواسعة لفكرة الإنتداب الفرنسي والتي وجدت مرتكزاتها السياسية في جمعية العربية الفتاة وحزبها حزب الإستقلال والمؤتمر السوري ولجان الأحياء والأحزاب الوطنية الأخرى .

اتفق فيصل وكليمنصو على معاهدة يعترف فيها فيصل مداورة بالإنتداب الفرنسي مقابل أن يعترف فيها كليمنصو بالدولة السورية (المملكة السورية العربية) كما يعترف فيصل باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي , ويتم تجاهل فلسطين بصورة تامة . كما يبقى موضوع الساحل السوري معلقا دون التطرق إليه .

نص اتفاقية فيصل - كليمنصو :

1 - تؤكد حكومة الجمهورية الفرنسية اعترافها للأهلين القاطنين في أرض سورية الناطقين بالعربية من كافة المذاهب أن يتحدوا ليحكموا أنفسهم بأنفسهم باعتبارهم أمة مستقلة .

2 - يعترف الأمير فيصل بأن السوريين لايستطيعون في الوقت الحاضر- نظرا لاختلال النظام الإجتماعي الناشىء عن الإضطهاد التركي وخسائر الحرب - أن يحققوا

وحدتهم وينظموا إدارة الأمة دون مشورة ومعاونة أمة على أن تسجل تلك المشاركة من قبل جمعية الأمم عند تكونها فعلا , وباسم الشعب السوري يطلب هذه المهمة من فرنسا .

3 - تتعهد الحكومة الفرنسية بأن تمنح معاونتها للأمة السورية بجميع أنواعها , وأن تضمن استقلالها ضد كل تجاوز ضمن الحدود التي سيعترف بها مؤتمر السلم , وفي تعيين هذه الحدود ستبذل الحكومة الفرنسية جهدها لنيل جميع التعديلات الحقة من الوجهة الجنسية واللغوية والجغرافية .

4 - تعهد الأمير فيصل بطلب كافة المستشارين والمدربين حصرا من فرنسا , لتنظيم الإدارات المدنية والعسكرية , وسيأخذون تفويضهم وصلاحياتهم من الحكومة السورية , ويشترك المستشار المالي بوضع الميزانية , وله أن يفتش حصة سورية من الديون العمومية العثمانية .

5 - لفرنسا حق الأولوية في كافة المشروعات والقروض المحلية المخصصة لغير الوطنيين .

6 - قناصل فرنسا في الخارج يمثلون السوريين والقضية السورية .

7 - الإعتراف باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي .

8 - حكم ذاتي لدروز حوران .

يبقى الإتفاق سرا حتى عودة فيصل لباريس وعرضه على مؤتمر السلام .

ماذا يعني هذا الإتفاق ؟

الإتفاق بمجمله هو تسليم بانتداب فرنسا على سورية بالرغم من أنه لم يذكر كلمة الإنتداب لكن الشروط الموضوعة فيه تطابق مفهوم الإنتداب وفق ماطرحه مؤتمر السلم في باريس فهو انتداب مرفق بتفسير تفصيلي , لكنه أكثر من ذلك فهو يفرض على سورية الإعتراف باستقلال لبنان بالحدود التي رسمتها فرنسا (لبنان الكبير) وبانتداب فرنسا عليه (وهنا جاء الإنتداب صريحا باللفظ) , ولا يتطرق الإتفاق لحدود سورية بل يبقي تلك المسألة عائمة برسم قرار مؤتمر باريس مما يضع تلك الحدود بيد الدولتين فرنسا وبريطانيا المقررتين فعليا لجميع مخرجات المؤتمر , وقد تسبب ذلك لاحقا في فصل جنوب سورية (الأردن وفلسطين) كما لبنان واسكندرون وكيليكية عن سورية الطبيعية .

وأغرب مافي الاتفاق السابق موضوع الحكم الذاتي لدروز حوران فما دخل فرنسا بدروز حوران ؟ وكيف رضي الأمير فيصل أن يقحم دروز حوران باتفاق دولي مع فرنسا ؟

أما تمثيل سورية والسوريين في الخارج عن طريق القنصليات الفرنسية فهو ينفي وجود دولة معترف بها دوليا اسمها سورية ويؤكد حقيقة أن مايحاول الاتفاق تقريره ليس سوى الإنتداب لكن بطريق المداورة .

يعطي الإتفاق للمستشار المالي صلاحية الإشتراك بوضع الموازنة العامة , كما يعطي لفرنسا الحق الحصري في تدريب الجيش وتنظيمه وذلك يكفي للإمساك بالدولة السورية (الجيش والإقتصاد) والهيمنة على مقدراتها هيمنة تامة فما الداعي بعد ذلك لذكر كلمة الإنتداب وهل يغير شيئا عدم ذكرها .

وأخطر مافي الأمر أنه ينتزع اعترافا من الأمير فيصل بصفته ممثلا عن الشعب السوري بطلب الإنتداب من فرنسا , بالتالي يمنح الشرعية الكاملة للإنتداب حتى دون تحديد مدة زمنية كما طالب المؤتمر السوري .

بالنسبة للحكومة الفرنسية يقدم الإتفاق الإعتراف بطلب الانتداب من قبل من يمثل الشعب السوري بالتالي يصبح تطبيق الإنتداب شرعيا وينفي عنه أي صفة احتلال أو استعمار بالقوة , وذلك مهم للسياسة الفرنسية الداخلية والخارجية , وهكذا يتم توظيف الأمير فيصل ومن حوله لاحتواء الحركة الوطنية المناوئة للإنتداب التي تعاظم نفوذها في سورية خلال الفترة الماضية , وتلك فائدة أخرى للسياسة الفرنسية , أما بالنسبة للأمير فيصل فالإتفاق هوأقل البدائل الممكنة سوءا بعد أن تخلت الولايات المتحدة تماما عن أي دور سياسي لها في المشرق العربي , ثم تخلت الدولة البريطانية التي كانت الراعية للعهد الفيصلي عن ذلك العهد لصالح فرنسا وتم إبلاغ ذلك بوضوح للأمير فيصل عند لقائه برئيس الوزراء البريطاني لويد جورج " عليك التفاهم مع فرنسا " فماذا بقي لفيصل سوى مفاوضة كليمنصو والإتفاق معه على الحل السياسي كبديل لاجتياح الجيش الفرنسي دمشق وإنهاء الدولة ؟

وفي ظل التوازنات الدولية وتخلي بريطانيا عن فيصل هل يمكن لفيصل الخروج من تلك المفاوضات بأفضل من ذلك الإتفاق ؟

كان هم فيصل الإبقاء على كيان الدولة وعرش دمشق ولو تحت الإنتداب الفرنسي , وذلك ما حصل عليه لاحقا في العراق تحت الوصاية البريطانية , لكن فرنسا ليست بريطانيا في تعاملها مع المستعمرات , وخلال الفترة السابقة كلها منذ دخلت جيوش

الحلفاء دمشق في 1918/10/1 كانت الحكومة الفرنسية تنظر للحكومة العربية في دمشق ولفيصل أيضا بكثير من عدم الرضى , وكانت تعتبر فيصل رجل الدولة البريطانية التي تنافسها في المنطقة , وفوق ذلك فقد لمست بوضوح مدى عداء الحركة الوطنية السورية للسياسة الفرنسية مما تجسد في قرارات المؤتمر السوري العام بالرفض القطعي للإنتداب الفرنسي .

من أجل ذلك لابد أن كليمنصو كان محقا حينما عبر لفيصل عقب الإتفاق مباشرة أن مثل ذلك الاتفاق فرصة لن تتكرر للعهد الفيصلي وأن أي رئيس وزراء آخر لفرنسا قد لايقبل به .

لكن ذلك لايعني تبرير موقف فيصل في قبوله لمثل ذلك الإتفاق , فمسؤوليته باقية في وضع بيضه كله في سلة الدولة البريطانية , والعمل كمنفذ لتلك السياسة ووكيل لها أكثر من كونه ملكا انتخبه الشعب السوري وأمنه على حريته واستقلاله ووحدته .

فهو قد أضاع فرصة تكوين جيش وطني بعد تسريح جيش الشمال العربي وتجريده من السلاح أولا , ثم الإستفادة من مئات الضباط العرب الذين وفدوا لدمشق بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى وإعلان الحكم العربي بدمشق ثانيا " نقل عن ضابطة الاستخبارات البريطانية غيرترود بل أن دمشق في 1918 كانت تضم أكثر من 300 ضابط عراقي " عدا الضباط السوريين والفلسطينيين الذين امتلكوا الخبرة والعلوم العسكرية في المؤسسة العسكرية العثمانية العريقة .

كان لدى العهد الفيصلي فرصة تكوين جيش وطني قادر على الدفاع عن سورية وتكبيد الجيش الفرنسي خسائر لايستهان بها , يمكن أن تدفع الحكومة الفرنسية لمراجعة موقفها

تجاه احتلال سورية , وقد ذكر فوزي القاوقجي قائد ثورة حماة في 1925 وأحد القادة العسكريين لجيش الانقاذ الذي حارب في فلسطين 1948 أن المخزونات من السلاح التي حصل عليها الجيش الفرنسي في دمشق بعد دخولها كانت كافية لتسليح أضعاف الجيش السوري .

فلماذا لم يهتم الأمير فيصل بتكوين الجيش الوطني ؟ لماذا جرد سورية من القوة العسكرية القادرة على صد هجوم الفرنسيين , والتي كان يمكن بواسطتها ردع الفرنسيين عن احتلال سورية ؟

صحيح أن عقبات كثيرة كانت تقف بوجه مشروع كهذا منها التمويل وتأمين مصدر السلاح ..الخ لكن كل ذلك كان قابلا لايجاد الحل ولو بالحد الأدنى . لكن التبعية للسياسة البريطانية كانت هي السبب الحاسم .

فبريطانيا لم تكن لتسمح بوجود قوة عسكرية تعيق تنفيذ مخطط تقاسم المشرق العربي بينها وبين فرنسا , لذلك وضعت خطا أحمر لفيصل بوجه تكوين مثل تلك القوة , وحين تجاوز رئيس المجلس الاستشاري الحربي والذي كان بمنزلة وزير الدفاع ياسين الهاشمي هذا الخط بمبادرة فردية منه وعمل على تجميع الأسلحة لمقاومة احتمال هجوم فرنسي قامت بريطانيا في 22 تشرين ثاني/ نوفمبر 1919 باعتقاله وسوقه لفلسطين حيث سجنته ستة أشهر .

يعترف فيصل في خطابه بقصره بتاريخ 28 أيار/مايو 1920 وبما يشبه زلة اللسان بالتقصير الكبير في إعداد الجيش السوري أيار وتجهيزه حين يقول : " بقينا سنة دون أن نتمكن من تنظيم وحدة للاستعراض ! بينما لم يمر شهران على قانون التجنيد حتى

رأينا أن لنا جيشا ولو قليلا " أما من هو المسؤول عن عدم الإهتمام ببناء الجيش منذ البداية ومن الذي ضيع كل هذا الوقت حتى بدأ بعملية بنائه تحت ضغط الحركة الوطنية فلم يكن سوى الأمير فيصل نفسه وهو الذي كان يمسك بالقرار السياسي .

ولماذا يتعب نفسه في إنشاء الجيش وهو الذي لم يفكر لحظة واحدة في مواجهة الفرنسيين , فبعد خروجه من دمشق وفي 11 أيلول/ سبتمبر 1920 كتب في رسالته إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا : " لئن سافرت إلى باريس في شهر تشرين أول/ اوكتوبر 1919 وعملت للمفاوضة مع الحكومة الفرنسية , وعدت إلى سورية لجعل الشعب هادئا , وأمنع مهاجمة الفرنسيين , عندما كانوا ضعفاء في سورية , ولم يكن لهم سوى حامية من ألف رجل (ربما يقصد في المدن السورية الرئيسية الداخلية خاصة دمشق) فما فعلت ذلك كله سوى كي أستطيع القول ذات يوم للدولة التي أعطتني كلمتها (يقصد وظفتني) إني نفذت التعليمات التي تلقيتها منها بكل دقة وإخلاص .

فقد كانت الكتب الرسمية التي تصلني من اللورد اللنبي تصر علي ملحة أن لا أتخذ موقفا عدائيا من الفرنسيين , حتى إنني تلقيت برقية من اللورد كرزون قبل احتلال دمشق بثلاثة أيام يطلب إلي فيها بإلحاح أن لا أتخذ أي موقف عدائي , ولهذا كله لم أفكر قط في محاربة الفرنسيين ومقاومتهم الأمر الذي كان يجعل موقفهم في سورية صعبا للغاية لو أقدمت عليه ...وكتبي التي أرسلتها الى الحكومة الانكليزية من باريس تبرهن على أنني كنت أرفض أن أخطو خطوة واحدة بدون استشارتها ." (من كتاب أمين سعيد الثورة العربية - الجزء الثاني)

وضع فيصل نفسه والعهد الفيصلي رهينة بيد السياسة البريطانية وحين تخلت بريطانيا عنه لم يبق له سوى استسلام " مشرف " لفرنسا يحفظ العرش وكيان الدولة مقابل قبول الإنتداب .

لكن فيصل فشل فشلا ذريعا في تسويق ذلك الإتفاق في سورية بعد عودته من باريس .

وتجسد فشله في قرار المؤتمر السوري العام المنعقد في 7 آذار/ مارس 1920 والذي أعلن سورية الطبيعية بأجزائها الثلاثة دولة واحدة مستقلة استقلالا تاما تحت حكم الملك فيصل .

كان ذلك يعني انهيارا تاما لمشروع اتفاق فيصل - كليمنصو .

بقي أن نذكر بعض المحطات السياسية التي تميز المرحلة السياسية الثانية قبل الانتقال للمرحلة السياسية الثالثة .

اللجنة الوطنية العليا للدفاع

في تشرين ثاني/ نوفمبر 1919 أسس محب الدين الخطيب ومحمد كامل القصاب اللجنة الوطنية العليا للدفاع وهدفها المعلن حفظ وحدة البلاد السورية والذود عن استقلالها التام ومقاومة الاستيطان وتنمية قوى البلاد المادية والمعنوية وإنعاش الروح القومية العربية , كان الهدف كما يقول الخطيب : "تحويل دمشق وسائر المدن السورية إلى ثكنات عسكرية والأمة إلى أمة مسلحة" .

تشكلت اللجنة الوطنية من لجان الأحياء , ففي البداية نشأ في كل حي من أحياء دمشق لجنة منتخبة تضم أربعة أعضاء وهكذا وصل عدد اللجان إلى 48 لجنة , ثم ازداد عدد

اللجان إلى 250 لجنة , ومن تلك اللجان انبثقت اللجنة العليا للدفاع بأهدافها السابقة . وقد امتد نشاط تلك اللجنة لمدن أخرى ضمن سورية بطريقة مماثلة من حيث التنظيم والأهداف .

لعبت اللجنة العليا للدفاع دورا هاما في دعم الخط السياسي الوطني ومنحه القاعدة الإجتماعية , وشاركت بفعالية في التظاهرات والإجتماعات الشعبية , ومع ازدياد التهديدات الخارجية بدأت بتسليح وتدريب الكوادر الشبابية استعدادا لمقاومة أي تدخل فرنسي عسكري محتمل . وشكلت كتيبة مكونة من ألف مقاتل شاركت في معركة ميسلون لاحقا . لكن الإسهام الأبرز للجنة كان إسهاما سياسيا بتشكيل جناح شعبي منظم للحركة الوطنية السورية إضافة لجمعية العربية الفتاة وحزبها حزب الإستقلال والأحزاب الوطنية الأخرى كحزب الإتحاد السوري الذي تماهت كوادره مع حزب الإستقلال , والمنابر السياسية المستقلة عن الحكم كالصحافة والنادي العربي , وكذلك المؤتمر السوري العام .

اجتماع المؤتمر السوري العام في 27 تشرين ثاني / نوفمبر 1919

بعد إعلان بريطانيا وفرنسا الإتفاق على سحب الجيوش البريطانية من سورية وإحلال الجيش الفرنسي مكانها في 15 أيلول / سبتمبر 1919 تسرب القلق إلى الرأي العام السوري حول اتجاه الدول الكبرى لفرض الإنتداب الفرنسي على سورية بصورة مناقضة تماما للمطالب التي حددتها لائحة المؤتمر السوري العام المقدمة إلى لجنة كنغ -

كراين , ومعاكسة لإرادة الغالبية العظمى من الشعب السوري مثلما أوضح تقرير لجنة كنغ - كراين الذي نشر لاحقا في 1922 .

أقتبس الفقرة التالية من تقرير لجنة كنغ - كراين بعد ترجمتها للعربية .

تحت عنوان : "رغبات الشعب"

"كانت التصريحات في المنطقة الشرقية (سورية الداخل) أقرب إلى الإجماع منها في الجنوب أو الغرب، كما يمكن رؤيته من خلال نظرة سريعة على جداول "ملخصات العرائض ". وكان الجزء الأكبر من التصريحات، الشفهية والمكتوبة، مطابقًا لقرارات المؤتمر السوري في دمشق((سميت برنامج دمشق)) .....وقد تم التوصل إلى هذا البرنامج (برنامج دمشق) بفعل القوى المتصارعة، وفي ظل شعور عام بأهمية الوصول إلى وحدة التعبير، لأسباب تتعلق بالسلامة الوطنية. ولا شك أن الضغط الذي مارسته الحكومة والأحزاب السياسية المختلفة كان له وزن في التوفيق بين الآراء الأكثر تطرفا، مثل تلك المؤيدة للإستقلال في أعلى درجة , ولكن على العموم لا يمكن أن يكون هناك شك في أن العناصر الرئيسية لهذا البرنامج تمثل الإرادة الشعبية بقدر ما يمكن التعبير عنها في أي بلد, وأعلن أهالي المنطقة بالإجماع تقريباً تأييدهم لسوريا الموحدة واستقلالها الكامل وضد أي مساعدة من فرنسا وضد البرنامج الصهيوني, وقد أجمع المسلمون بالإجماع تقريبًا على طلب المساعدة الأمريكية" انتهى الاقتباس .

يذكر يوسف الحكيم في كتابه : " أن اللجنة وجدت أغلبية تؤيد الانتداب الفرنسي في المنطقة الغربية (لبنان والساحل السورية) لذلك أوصت اللجنة أن يقتصر الانتداب

الفرنسي على المنطقة الغربية عملا برغبة أكثرية سكانها " - " يوسف الحكيم - سورية والعهد الفيصلي - ص 104, 105 "

وذلك بخلاف الداخل السوري الذي كان مجمعا تقريبا على رفض الانتداب الفرنسي كما سبق ذكره .

منذ أن دخلت جيوش الحلفاء سورية بقيادة الجنرال اللنبي كانت فرنسا تشعر بالقلق من منافسة النفوذ البريطاني لها في سورية , وزاد من قلقها التفوق الكبير للوجود العسكري البريطاني في سورية والعراق ومصر , فبريطانيا قادت الحملة العسكرية الكبرى انطلاقا من مصر نحو فلسطين والقدس ثم دمشق حتى شمال سورية وكليكية , أما الجهد العسسكري الفرنسي فقد كان متواضعا إلى حد كبير , وكان بإمكان بريطانيا بسهولة فرض إرادتها السياسية على فرنسا فيما يتعلق بمصير المشرق العربي لولا الإعتبارات المرتبطة بحاجة بريطانيا لفرنسا في الجبهات الأوربية خلال الحرب , وأيضا للإبقاء على مستوى معين من التضامن بين الدولتين الكبيرتين ضروري لبناء نظام عالمي جديد يحفظ مصالحهما الإستعمارية في العالم في وجه بداية ظهور الولايات المتحدة كلاعب هام في السياسة الدولية وما طرحته من مبادىء لاتنسجم مع السياسات التقليدية الإستعمارية الغربية .

لكن ذلك لم يمنع بقاء درجة معينة من التنافس بين فرنسا وبريطانيا , وضمن ذلك السياق نظرت فرنسا للأمير فيصل كرجل بريطانيا في سورية , ونظرت للعهد الفيصلي الذي رعته بريطانيا باعتباره محاولة بريطانية للتنصل من اتفاقية سايكس بيكو ووضع اليد على الداخل السوري . (*)

(*) " كانت الحكومة العربية في دمشق تتلقى تمويلا ثابتا من الدولة البريطانية بحدود 150000جنيه استرليني شهريا لسد نفقات الادارة والجيش والدعاية وغيرها - من كتاب خيرية قاسمية الحكومة العربية في دمشق ص 221"

وخلال الفترة منذ بداية العهد الفيصلي وحتى اتفاق بريطانيا وفرنسا على تعديل سايكس بيكو والإعلان عن انسحاب الجيش البريطاني من سورية الداخل لصالح الجيش الفرنسي كان الغضب المكبوت يتصاعد لتطور الأوضاع في سورية على نحو معاد للسياسة الفرنسية , وفي المقابل كان الغضب يتصاعد في سورية من وجود الجيش الفرنسي في لبنان والساحل السوري وشمال سورية , وقد أشعل ذلك عددا من الأعمال العسكرية بين مجموعات محلية صغيرة من الثوار السوريين والجيش الفرنسي خاصة على الحدود بين لبنان وسورية باعتبار توجه الانتداب الفرنسي في لبنان لضم البقاع وراشيا وحاصبيا وبعلبك إلى متصرفية جبل لبنان بينما كانت تعتبر جزءا من ولاية دمشق .

كما نشأت مواجهات محلية أخرى في تلكلخ والحولة وفي جبل الزاوية بين الجيش الفرنسي الذي كان يتخذ من شمال سورية قاعدة لقواته في كيليكية وبين مجموعات الثوار الذين لم يتوقفوا عن النظر إليه كجيش احتلال .

ودائما كانت السياسة الفرنسية تلقي باللائمة على العهد الفيصلي الذي يتساهل مع الثوار , بل يشجعهم أيضا , وتبحث بكثير من الشكوك عن اليد البريطانية وراء الصعوبات التي تجدها في سورية , ولم تتبدد تلك الشكوك سوى بعد 15 أيلول/ سبتمبر 1919 .

عقد المؤتمر السوري العام أول جلسة قرر فيها إبلاغ معتمدي الحلفاء في دمشق الإحتجاج على كل قرار أو اتفاق يخالف وحدة البلاد واستقلالها كما عبر عن ذلك حين الإستفتاء , وسارت التظاهرات في دمشق محتجة على اتفاق لويد جورج - كليمنصو , وإثر تلك التظاهرات تشكلت لجان لتسجيل المتطوعين للدفاع بإشراف ضباط الجيش في دمشق وحلب وحماة وحمص .

وفي 22 تشرين ثاني/ نوفمبر 1919 عقد المؤتمر السوري العام جلسة عرض فيها رضا باشا الركابي الموقف العام , وطلب رأي المؤتمر . بعد ذلك اتخذ المؤتمر قرارا بوجوب اتباع سياسة الأمر الواقع وإعلان استقلال سورية بمناطقها الثلاث ومبايعة الأمير فيصل ملكا دستوريا وتأليف حكومة تخضع لمراقبة مجلس الأمة .

اجتماع القصر بين الأمير فيصل والحركة الوطنية في 20 كانون ثاني/يناير 1920:

بعد عودة الأمير فيصل من باريس وتسرب الأخبار حول اتفاقه مع كليمنصو طلب فيصل من أركان الجمعيات الوطنية والشخصيات السياسية الشعبية الإجتماع معه في حديقة قصره ليحاول إقناعهم باعتماد اتفاقه مع كليمنصو باعتباره السبيل الوحيد للحفاظ

على سلامة الدولة بعد أن تخلت بريطانيا عن العهد الفيصلي تماما , ورغم عدم ظهور معارضة صريحة خلال الاجتماع إلا أن الدلائل تشير إلى فشل الأمير فيصل فشلا تاما في إقناع أطراف الحركة الوطنية بالإتفاق وانتصارالتيار الوطني الرافض للإنتداب الفرنسي حتى ضمن صيغته المخففة التي يطرحها اتفاق فيصل - كليمنصو .

وقد صور الوضع تقرير من الكولونيل مينرتزهاجن من القاهرة إلى كرزن في لندن في 19 كانون أول/ ديسمبر 1919 بقوله : " إن النقمة الشعبية ضد الأسرة الشريفية قد ازدادت بسرعة لاعتدالها أمام المطالب الفرنسية ومحاباتها للبدو والحجازيين , وفشلها في استمالة فئات الشعب ..ولم يعد لاسم الحسين وزن في سورية ....كما أن طلب زيد في 14 كانون أول/ ديسمبر العودة إلى مكة يعني أن موقفه وموقف فيصل قد أصبح دقيقا نظرا لأن الشعب لم يعد يثق بهما أو يحبهما "(خيرية قاسمية - الحكومة العربية في دمشق).

تطور بنية الحكومة العربية خلال المراحل السابقة :

بدأت الحكومة العربية الأولى بعد تعيين الأمير فيصل من قبل الجنرال اللنبي كحاكم عام لما سمي بالمنطقة الشرقية من سورية (سورية الداخل) بتفويض الأمير فيصل للفريق رضا باشا الركابي بإنشاء حكومة عسكرية بدمشق في 5 تشرين الأول/اوكتوبر 1918

تضم مجلسا للشورى يتكون من عدد محدود من الأعضاء تولى كل منهم مسؤولية قطاع إداري كالمالية والعدلية والتعليم واالصحة والأشغال العامة والزراعة والقبائل ويعتبر مجلس الشورى بمثابة هيئة مصغرة تجمع الصلاحيات التشريعية والتنفيذية وقد وكل إليه إصدار القوانين والأنظمة اللازمة لادارة البلاد والاشراف أيضا على عمل مختلف المديريات , وقد أصر الجنرال اللنبي على كون الحكومة عسكرية الطابع لتنسجم مع الوضع القانوني الذي صاغه الحلفاء لسورية وهو " أراضي العدو المحتلة " بما يعني أن الحلفاء قد حرروا تلك الأراضي من الدولة العثمانية واحتلوها وبالتالي فهي مجرد " أراض" وليست أمما أو شعوبا لتمنح أي وصف يليق بدولة في طريق التكون , ويلفت النظر أن ذلك يناقض على طول الخط العهد البريطاني للشريف حسين بدعم إنشاء دولة عربية بعد الإنتصار في الحرب العالمية الأولى , كما يناقض مبدأ الانتداب وتصنيف مؤتمر باريس لشعوب المشرق العربي , وهو التمهيد العملي لتطبيق اتفاق سايكس بيكو

ولاشك أن ذلك خلق نوعا من الإرباك لفيصل الذي ظن بعد دخول دمشق أن بريطانيا ستفي بوعدها وتكتفي بتحالف عسكري مع المملكة العربية الموعودة برئاسة والده بما في ذلك الشام والعراق , وتوضح قراءة البلاغ الذي أذاعه فيصل بعد دخول دمشق في 5 تشرين أول/اوكتوبر 1918 تلك المفارقة حيث جاء فيه :

" إلى أهالي سورية المحترمين : أشكر جميع السوريين على ما أبدوه من العطف والمحبة وحسن القبول لجيوشنا المنصورة والمسارعة للبيعة باسم مولانا السلطان أمير المؤمنين الشريف حسين - نصره الله - ثم أبلغهم المواد الآتية :

1 - تشكلت في سورية حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالا لاشائبة فيه باسم مولانا السلطان حسين شاملة جميع البلاد السورية .

2 - قد عهدت إلى السيد رضا باشا الركابي بالقيادة العامة للحكومة المذكورة نظرا لثقتي باقتداره ولياقته .

3 - تتألف إدارة عرفية (يقصد مجلس الشورى) لرؤية المواد التي يحيلها القائد إليها , بناء عليه أرجو من الأهالي الكرام المحافظة على الهدوء والسكون , والطاعة للحكومة الجديدة .....ولذلك فإني آمل من أهالي سورية الذين برهنوا على محبتهم لنا بترحيبهم بنا أن يكونوا مثالا حسنا للطاعة والسكون حتى يثبتوا للعالم أجمع أنهم أمة لائقة للإستقلال , قادرة على إدارة شؤونها بنفسها , وليعلم جميع الناس أن حكومتنا العربية قد تأسست على قاعدة العدالة والمساواة , فهي تنظر إلى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم وأديانهم نظرا واحدا , لانفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي فهي تسعى بكل مالديها من الوسائل لتحكيم دعائم هذه الدولة التي قامت باسم العرب , وتستهدفف إعلاء شأنهم , وتأسيس مركز سياسي لهم بين الأمم الراقية .

والله نسأل أن يوفقنا جميعا إلى مافيه خير العرب وإعلاء كلمتهم والسلام .

في 27 ذي الحجة سنة 1336

الشريف حسين

فهو في توقيع البيان باسم الشريف حسين وطلب البيعة لوالده من السوريين يعني ضمنا أن الشام يفترض أن تكون ولاية من ولايات الدولة العربية التي يتزعمها الشريف حسين

, وهو يعلن استقلال سورية استقلالا تاما لاشائبة فيه , فهو استقلال دولة مكتملة السيادة , ويكرر في نهاية البلاغ اعتباره سورية دولة فهي ليست مشروع دولة ولا دولة تحت الإنتداب , ولا سلطان لأحد عليها سوى تبعيتها للشريف حسيين .

سيضطر الأمير فيصل بعد زمن ليس بالبعيد إلى نسيان بلاغه هذا نسيانا تاما , عندما تتكشف الحقائق الواقعية أمامه وأمام السوريين أيضا , لكن يبقى ذلك البلاغ شاهدا على الوهم الذي سيطر على عقل فيصل ومن حوله في تلك المرحلة قبل أن تكشف السياسة البريطانية عن أهدافها بجلاء .

يفسر البعض ماورد في بلاغ فيصل - كما في كثير من المبادرات السياسية التي سعت لإنشاء أمر واقع لايقف عند إرادة الدول الكبرى في سورية - بإرادة الإستقلال الكامنة في زعامة فيصل وجمعية العربية الفتاة , لكن المشكلة أن إرادة الإستقلال تلك كانت محكومة بسقف منخفض هو التبعية التامة للسياسة البريطانية عند أي منعطف أو أمام أي استحقاق ذي أهمية . فالوصف الأكثر دقة لتلك الحالة ليس سوى اللعب ضمن الهامش الذي تتيحه السياسة البريطانية وتوافق عليه دون أن تظهر فوق مسرح الأحداث .

ومن تلك المبادرات إرسال شكري الأيوبي حاكما لبيروت ورفع العلم العربي هناك في احتفال رسمي لكن سرعان ما أجبره الجنرال اللنبي على سحب شكري الأيوبي وإنزال العلم العربي بعد أن تدخلت فرنسا لدى بريطانيا واحتجت على ذلك معتبرة أن فيصل تجاوز حدوده في محاولة مد نفوذه خارج المنطقة الشرقية (الداخل السوري) .

حددت بريطانيا لفيصل مهمة الحكومة وحدود صلاحياتها حين اعتبرتها حكومة عسكرية , فهي تتبع بصرامة في نهاية الأمر للقائد العسكري الأعلى وهو الجنرال اللنبي .

وهكذا فلم يكن من صلاحياتها مناقشة السياسة بممفهومها العام , خاصة ما يتعلق بالسياسة الخارجية فهي حكومة أشبه ماتكون بحكم ذاتي أو بلدية وليس أبعد من ذلك .

استمر هذا النوع من الحكومة حتى آب/ أغسطس 1919

حكومة المديرين :

بدأت أول حكومة مديرين في 4 آب/ أغسطس 1919 برئاسة الأمير فيصل وينوب عنه رضا باشا الركابي مع احتفاظه بلقب الحاكم العسكري , وتعرض قرارات مجلس المديرين على رئيسه فيصل وله الخيار بالتصديق عليها أولا , كما يتقيد مجلس المديرين في قراراته بالموجود من الأوامر العسكرية المؤقتة الصادرة والتي ستصدر من قبل القيادة العامة إلى أن يتقرر مصير البلاد .

يعكس تغيير بنية الحكومة حاجة الأمير فيصل للإمساك شخصيا بالسياسة الداخلية التي غاب عنها لفترة طويلة , كما يعكس بداية التحول من الحكم العسكري لحكم شبه مدني مرتبط بالأمير فيصل وليس بالجنرال اللنبي , ولكي لا ينظر إليه كخروج على الحاكم العسكري فقد جاء بقرار تشكيله التزامه بأوامر الحاكم العسكري للقيادة العامة الجنرال اللنبي التزاما تاما .

تشكل أول مجلس للمديرين على النحو الآتي :

اسكندر عمون للعدلية

رشيد طليع للداخلية

سعيد شقير للمالية

اللواء ياسين الهاشمي لرئاسة الشورى العسكرية

ساطع الحصري للمعارف (التربية والتعليم)

جبرائيل حداد للأمن العام

وفي 25 آب/ أغسطس صدر نظام المجلس المذكور موقعا من الأمير فيصل . وجاء في البند الأول منه مايلي :

المادة 1 : تدار البلاد من قبل حاكم عام ومديرين ويتألف منهم مجلس تحت رئاستنا أو رئاسة الحاكم العام بالوكالة عنا , يسمى مجلس المديرين ويكون مرجعا للأمور الهامة العامة .

المادة 2 : المديرون المار ذكرهم في المادة الأولى هم رئيس ديوان الشورى الحربي ريثما يعين مدير الأمور الحربية , ومدراء الداخلية والمالية والعدلية والمعارف والأمن العام ورئيس مجلس الشورى , وإذا غاب أحدهم فيقوم مقامه وكيله , على أن تكون وكالته مصدقة من قبلنا .

من الواضح أن مجلس المديرين هو بمثابة مجلس الوزراء وهو هيئة قائمة بذاتها مستقلة عن عمل كل مدير على حدة , وهناك قرارات لاتحتاج لاعتماد مجلس المديرين يمكن للمدير إصدارها بنفسه , بل كان من حقه وضع لائحة بالأمور العائدة لاختصاصه مباشرة على أن تصدق تلك اللائحة من الأمير فيصل والحاكم العسكري العام (الجنرال اللنبي) .

في المادة الأولى يرد ذكر أن البلاد تدار من قبل حاكم عام ومديرين يتألف منهم مجلس تحت رئاسة الأمير فيصل أو من قبل الحاكم العام الذي يوكله فيصل , فالحاكم العام هنا هو بمثابة رئيس وزراء معين كوكيل لفيصل .

تحدد المادة 3 أن مجال صلاحيات كل مدير هو ما يخص اختصاصه حسب القوانين , أما ماهو خارج عن صلاحياته فيحيله لمجلس المديرين .

يلفت النظر في المادة 4 أن هيئة المديرين (مجلس المديرين) مسؤولة " بالاشتراك" (يقصد تتوزع المسؤولية على الجميع) عن سياسة الحكومة الداخلية .... وهكذا يكون الأمير فيصل قد حمل مجلس المديرين نصيبا من المسؤولية عن السياسة الداخلية مع احتفاظه بالقرار السياسي . كما ورد بالمادة 6 : " قرارات مجلس الديرين جميعها تعرض علينا ولنا الخيار بالتصديق عليها أو عدمه" .

بعد عودة فيصل من فرنسا في أوائل كانون ثاني/ يناير 1920 واتفاقه مع كليمنصو واجه وضعا مضطربا في البلاد , وكانت الإنتقادات تنصب على حكومة رضا باشا الركابي تحت دعاوى التقصير في تحضير البلاد لمواجهة السياسة العدوانية الفرنسية , مما أدى لاستقالة الركابي وتشكلت حكومة مجلس المديرين الثانية برئاسة الشريف زيد , وعضوية رضا باشا الركابي للحربية .

وبعد عقد المؤتمر السوري العام في 7 آذار/ مارس عام 1920 ومبايعة فيصل ملكا دستوريا على المملكة العربية السورية تغير وضع الحكومة بصورة جذرية , فلم تعد

حكومة عسكرية , كما لم تعد مرتبطة سوى بالملك فيصل ومسؤولة أمامه وأمام المؤتمر السوري العام , ولم تعد حكومة مجلس شورى ولا مجلس مديرين ولكن وزارة كما تسمى في جميع الدول المستقلة , وعين رضا باشا الركابي كأول رئيس وزراء بتاريخ سورية , لكن وكما أراد لها فيصل فقد حاولت تمثيل خط الإعتدال والتفاهم مع فرنسا وبريطانيا بعد القرارات الحاسمة التي اتخذها المؤتمر السوري وأدت لردات فعل لدى بريطانيا وفرنسا اتسمت بالرفض التام واتهام حكومة دمشق بالخروج على الشرعية الدولية .

وهكذا سميت حكومة الركابي تلك بحكومة الشيوخ الذين تم اختيارهم لتليين مواقف الدول الكبرى بالديبلوماسية الهادئة المعتدلة ولكن بدون أية جدوى .

أما الحكومة الأخيرة للعهد الفيصلي فقد جاءت عقب اشتداد ضغط الشارع السوري لتشكيل ما سمي بحكومة دفاع لاستنفار كل قوى المجتمع السوري وبناء الجيش أمام التهديدات الفرنسية المتزايدة , فبعد استقالة الركابي تسلم هاشم الأتاسي رئاسة الوزراء في 3 أيار/ مايو 1920 وتم تعيين يوسف العظمة وزيرا للحربية وياسين الهاشمي رئيسا لأركان الجيش وفرض التجنيد الإجباري وسعت الحكومة لتأمين تمويل للجيش عن طريق قرض وطني بضمانة الممتلكات العامة للدولة .

بقيت حكومة الأتاسي تعمل حتى إنذار غورو الذي تضمن تسريح الجيش وحل الحكومة , وبعد موقعة ميسلون واستشهاد وزير الحربية البطل يوسف العظمة جرى حل الحكومة وتعيين أول حكومة تحت الإنتداب بتاريخ سورية , وخرج العديد من الوزراء

والسياسيين الوطنيين من سورية إلى المنافي والمهاجر في مصر والاردن الذي ظل تحت الحكم البريطاني - الهاشمي والبلاد الأخرى .

.

المرحلة السياسية الثالثة :

بعد أن تأكد فيصل من عدم إمكانية تمرير اتفاقه مع كليمنصو في مواجهة معارضة واسعة منظمة ومتعددة الأطراف قادرة على تحريك الشارع ومعادية بصورة تامة لأي تنازل يسمح لفرنسا بالهيمنة على سورية , ظهر بأن الحل للأزمة الناشئة عن تخلي بريطانيا عن العهد الفيصلي أمام المطامع الفرنسية يمكن أن يكون في فرض نوع من الأمر الواقع على مؤتمر السلام الدولي بإعلان استقلال سورية في حدودها الطبيعية (الأجزاء الثلاثة) ومبايعة الأمير فيصل ملكا دستوريا على البلاد .

من أجل ذلك اجتمع المؤتمر السوري العام في 7 آذار/مارس 1920 واتخذ قراره بإعلان الإستقلال التام لسورية الطبيعية بما في ذلك فلسطين ورفض مشروع الإستيطان

وأن تراعى رغبات اللبنانيين (في إشارة لإمكانية الموافقة على حكم ذاتي للبنان أو كيان شبه مستقل ضمن دولة فدرالية) وأن يكون الأمير فيصل ملكا دستوريا للبلاد . وتأييد حق العراق في الإستقلال والحرية .

وفي اليوم التالي جرت مبايعة الأمير فيصل في احتفال حاشد ضم أعضاء المؤتمر السوري وإخوانهم العراقيين والوجهاء وأركان الحركة الوطنية ورؤساء الأديان وكبار رجال الحكومة وممثلي الدول الأجنبية عدا البريطانيين.

ثمة مؤشرات لتعمد الفرنسيين إظهار التساهل في تقبل قرار المؤتمر ومبايعة فيصل ملكا على سورية بل وحضورهم حفل تنصيب الأمير ومبايعته , ومن المحتمل أن السياسة الفرنسية تجاه سورية التي أصبحت بيد الجنرال غورو بعد قدومه لبيروت في تشرين الثاني/نوفمبر 1919 قد تعمدت تشجيع فيصل على عقد المؤتمر واتخاذ مثل القرارات التي اتخذها والتي اعتبرت فيما بعد خارجة عن نطاق مؤتمر باريس للسلام وبالتالي غير شرعية من وجهة النظر الدولية كما أنها تزعج بريطانيا في مسألة اعتبار فلسطين جزءا من سورية ورفض مشروع الإستيطان الصهيوني وكذلك الوقوف ضد الإنتداب البريطاني على العراق . وبالتالي تزيد من ابتعاد السياسة البريطانية عن دعم العهد الفيصلي .

فجر المؤتمر السوري العام الأزمة بين الحكومة العربية والسياسة الفرنسية التي ينفذها الجنرال غورو انطلاقا من بيروت , وأصبحت نذر المواجهة بين الطرفين على مرمى البصر , لكن الملك فيصل لم ييأس من ايجاد حل سياسي مع الحكومة الفرنسية .

تبع انعقاد المؤتمر نشاط سياسي واسع فتشكلت أول وزارة في العهد الفيصلي برئاسة رضا الركابي وكانت مسؤولة أمام المؤتمر السوري , كما أن إعداد الدستور الدائم للبلاد جرى بوتيرة متسارعة , وخلال عشرة أسابيع كانت مسودة الدستور جاهزة للعرض على المؤتمرلإقرارها بصورة نهائية , وشكل النادي العربي تجمعا مستقلا للأحزاب والقوى الوطنية امتد تأثيره إلى الحكومة والمؤتمر السوري العام .

عبرت كل من فرنسا وبريطانيا عن عدم الإعتراف بقرارات المؤتمر السوري العام واعتبار تلك القرارات انتهاكا للشرعية الدولية الممثلة بمؤتمر السلم في باريس والذي يمتلك وحده الحق في تحديد مصير " أراضي العدو المحررة " كما جرى توصيف المشرق العربي بعد انسحاب جيوش الدولة العثمانية , وطلبت بريطانيا وفرنسا من فيصل القدوم لباريس لعرض قضيته أمام مؤتمر السلم .

لكن فيصل الذي كان مطوقا بجمعية العربية الفتاة وحزب الإستقلال ونظيره حزب الإتحاد السوري والمؤتمر السوري واللجنة العليا للدفاع لم يكن ليقدر على اتخاذ قرار بالذهاب إلى باريس دون موافقة تلك الأطراف أو غالبيتها على الأقل , وبالتالي فقد تمت صياغة الجواب على تلك الدعوة باشتراط الإعتراف باستقلال ووحدة سورية .

دفعت قرارات المؤتمر السوري العام وما تبع ذلك من رفض فيصل القدوم للتفاوض في باريس إلا بعد الإعتراف باستقلال سورية الدولة البريطانية للتخلي عن آخر تحفظاتها في الحفاظ على كيان العهد الفيصلي.

وهكذا انعقد مؤتمرسان ريموبتاريخ 25 نيسان/ أبريل في ايطاليا كرد على قرارات المؤتمر السوري العام وحسم المسألة السورية بإعلان انتداب فرنسا على سورية وبريطانيا على العراق وفلسطين .

وفي دمشق اضطر رضا الركابي للإستقالة بعد انتقادات وجهت لحكومته بالتهاون في إعداد البلاد للمواجهة المحتملة , وتشكلت وزارة اعتبرت وزارة دفاع برئاسة هاشم الأتاسي بدأت بتحضير الجيش والشعب للمرحلة القادمة . فوسعت نطاق التجنيد , وعملت لتأمين التمويل اللازم للجيش عن طريق بيع سندات للدولة.

وفي هذه الفترة حدث انشقاق داخل جمعية العربية الفتاة , وحاول فيصل تكوين تكتل سياسي داعم لسياسته في مهادنة فرنسا تحت مسمى الحزب الوطني الذي التحق به أعيان دمشق وملاك الأراضي والإقطاعيون , لكن ذلك لم يغير شيئا ذا قيمة في مجمل التوازنات السياسية القائمة وبقيت الكلمة العليا للحركة الوطنية بفروعها المتعددة .

خلال حوالي ثلاثة أشهر من تاريخ مؤتمر سان ريمو كان الجنرال غورو يقوم بالإستعدادات العسكرية النهائية لغزو سورية وفرض الانتداب وإنهاء العهد الفيصلي , وقد أتاحت له الهدنة في كيليكية مع الأتراك في مطلع حزيران/ يونيو 1920 نقل جزء كبير من قواته إلى شمال سورية قرب حلب , كما وافقت الحكومة الفرنسية على إرسال المزيد من القوات والتجهيزات العسكرية إلى لبنان استعدادا للحملة العسكرية القادمة , بينما نفضت بريطانيا يدها من أي حماية للعهد الفيصلي تاركة مصيره للآلة العسكرية الفرنسية الكبيرة المحتشدة في لبنان .

ويذكر الأمير فيصل أن القوات الفرنسية المحتشدة في لبنان وسورية بلغ عددها قبل الهجوم على دمشق 80000 جندي .

مع نهاية شهر حزيران/ يونيو 1920 وازدياد المخاطر أمام الدولة السورية الوليدة جرى الإتفاق على سفر فيصل لأوربة في محاولة لتجنب الصدام مع الدولة الفرنسية , لكن تلك المحاولة كانت متأخرة , فقد سبقها القرار الفرنسي بالحملة العسكرية على دمشق بهدف مزدوج فرض الإنتداب الفرنسي وإنهاء العهد الفيصلي , باعتبار أن إنهاء العهد الفيصلي لايمكن أن ينجز عبر المفاوضات , ولم تعد السياسة الفرنسية تقبل باستمراره حتى مع قبوله بالإنتداب . ولذلك رفض الجنرال غورو السماح لفيصل بالسفر لأوربة وعوضا عن ذلك أرسل إنذاره بتاريخ 1920/7/14 والمتضمن طلب الإستسلام الكامل .

إنذار غورو :

بعد مقدمة طويلة حاول فيها الجنرال غورو شرح الأسباب التي دعته لتوجيه الإنذار كتب الآتي :

" ....إن هذه الأسباب تدل دلالة كافية على أنه لايمكن بعد الآن أن نعتمد على حكومة جاهرت بعداء فرنسا كل المجاهرة , وأخطأت نحو بلادها خطأ عظيما بظهورها عاجزة عن تنظيمها وإدارتها , لذلك ترى فرنسا أنها مضطرة لأخذ الضمانات التي تكفل سلامة جنودها وسلامة السكان الذين نالت من مؤتمر السلام مهمة الإنتداب عليهم , فأتشرف بإبلاغ سموكم الملكي أن هذه الضمانات هي كما يأتي :

1 - التصرف بسكة حديد رياق - حلب الحديدية بصورة مطلقة , لإجراء النقليات التي تأمر بها السلطة الفرنسية , ويضمن هذا التصرف بأن يراقب مفوضون عسكريون فرنسيون جميع ماينقل في محطات رياق وبعلبك وحمص وحماة وحلب , تعضدهم قوة مسلحة مخصصة للمحافظة على المحطة , وباحتلال مدينة حلب , التي هي مركز مواصلات هامة لايسعنا تركها تسقط بيد الجيش التركي .

2 - إلغاء التجنيد الاجباري :

يجب أن يوقف التجنيد تماما , وأن تسرح القوى , حتى يبلغ الجيش الشريفي االعدد الذي كان عليه بتاريخ 1919/12/1 .

3 - قبول الإنتداب الفرنسي :

إن هذا الإنتداب يحترم استقلال أهالي سورية , ولا يناقض مبدأ الحكم بسلطة سورية تستمد قوتها من إرادة الشعب , ولا يتضمن سوى معاونة بشكل مساعدة من الدولة المنتدبة , دون أن يتخذ مطلقا شكل استعمار , أو إلحاق أو إدارة مباشرة .

4 - قبول العملة الورقية السورية :

تصبح هذه العملة عملة وطنية في المنطقة الشرقية , فتلغى جميع الأحكام المتعلقة بالبنك السوري في المنطقة الشرقية .

5 - تأديب المجرمين الذين كانوا أشد عداء لفرنسة .

إن هذه الشروط تقدم جملة , وينبغي قبولها جملة أيضا , بلاتجزئة خلال أربعة أيام , تبتدىء من منتصف ليل 1920/7/15 (أي 14 منه الساعة 12 ليلا) وتنتهي في 17 منه الساعة 24 (أي الساعة 12 ليلا) "

وقع الإنذار وقوع الصاعقة على فيصل والحكومة العربية بدمشق , فلم يكن فيصل يتوقع أن تنتقل فرنسا بهذه السرعة والقسوة من موقف النظر إليه كحليف سابق في الحرب , وكرجل معتدل وصديق للغرب , لم يفكر قط في مواجهة فرنسا كما ذكر هو نفسه في الرسالة التي أرسلها لرئيس الوزراء البريطاني لويد جورج بعد خروجه من دمشق وسفره إلى فلسطين ثم ايطاليا بل كان دائما يقوم بتهدئة الشعب ومنعه من التعرض للقوات الفرنسية في سورية إلى النظر إليه كعدو يمكن تهديده والهجوم عليه .

يعكس ذلك ضحالة فهم الأمير فيصل للبيئة السياسية الدولية التي يعيش فيها , وثقته المفرطة بالإستناد للدولة البريطانية , وعلى أية حال فهو لم يكن مستعدا في ذلك اليوم كما كان سابقا للمواجهة مع فرنسا , وبعد استشارة الدولة البريطانية التي نصحته بقبول الإنذار لم يبق سوى إقناع الحكومة حتى لايتحمل وحده تلك المسؤولية الكبيرة .

جمع فيصل حكومته وطرح على وزير الحربية يوسف العظمة السؤال فيما إذاكان وضع الجيش يؤهله لمواجهة الجيش الفرنسي المحتشد على الحدود مع لبنان وبالرغم من موقف يوسف العظمة الذي كان يميل للمواجهة فإن رئيس أركان الجيش ياسين الهاشمي وبقية الضباط القادة كان لهم رأي آخر , بل ذهب ياسين الهاشمي إلى أن الجيش السوري بوضعه الراهن لايستطيع الصمود لساعات أمام الجيش الفرنسي , وهنا أصبحت المسألة تعرض بطريقة الإختيار بين أهون الشرين , هل نحارب فرنسا حربا لا أمل فيها

وبالتالي نمنحها الفرصة للإنتصار عسكريا واستباحة دمشق أم نوافق على الإنذار ونحاول الوصول إلى اتفاق سياسي لايلبي طموحات الشعب ولكن يحميه من تدمير مدنه ونهبها كما يمكن أن تجر الهزيمة العسكرية فضلا عن الإستسلام الكامل ؟

لم يكن الظرف متاحا لمساءلة فيصل عن السبب الذي دفعه لتسريح جيش الشمال العربي عقب دخول دمشق عام 1918 وتجريده من السلاح وإرسال السلاح للإدارة البريطانية في مصر , ولا عن السبب في إهمال تشكيل الجيش مدة عام كامل بعد ذلك , ولم يكن أمام المجتمعين سوى التسليم بأهون الشرين وهو قبول الإنذار .

لم يمنع قبول الإنذار غورو من الدفع بجيشه نحو دمشق , فدخول دمشق منتصرا وليس باتفاق سياسي مع حكومة فيصل كان أمرا لابد منه من أجل اقتلاع العهد الفيصلي بكامله وليس مجرد فرض الإنتداب , وعندما اتضحت تلك الحقيقة كانت الحكومة قد سرحت الجيش الذي ترك مواقعه الحصينة في مجدل عنجر , وترك فيها أسلحته الثقيلة وعاد بطريقة غير منظمة ظهرت للشعب كنوع من التخاذل والخيانة .

لاشك أن فيصل وحكومته أخطؤوا مرة ثانية بالاستعجال بتسريح الجيش وإخلاء مواقعه الحصينة في مجدل عنجر , وكان يفترض إظهار قدر أكبرالثبات مع إبقاء التفاوض أذ كان لابد منه , وقد تبين خطؤهم فيما بعد

بل لم يكن ذلك محض خطأ بالنسبة لفيصل بل كان بالدرجة الأولى التزاما بالتعليمات البريطانية بالابتعاد كليا عن أية مواجهة مع الجيش الفرنسي .

وكرد على تلك الحالة ومن خلال شعور عارم بالشرف العسكري والروح الوطنية قرر وزير الدفاع يوسف العظمة مواجهة الجيش الفرنسي والاستشهاد مقاتلا في ساحة الشرف .

أما الأمير فيصل وحكومته فقد أسقط في يدهم تماما , وقاموا بالإنسحاب من دمشق إلى الكسوة ثم إلى درعا ومنها إلى فلسطين وذهب فريق منهم إلى مصر وفريق إلى أوربة , أما من كان مسبقا على صلة خفية بالفرنسيين أو كان مستعدا للعمل تحت الانتداب فقد بقي في دمشق واستقبل الجنرال غورو بعد ذلك في القصر الذي كان يعيش فيه فيصل .

وهكذا وضع الجيش الفرنسي النهاية للعهد الفيصلي في 1920/7/25 .

الأزمات السياسية بين العهد الفيصلي والسياسة الفرنسية :

رغم أن قرار الإنتداب الفرنسي على سورية وتطبيق اتفاق سايكس بيكو كانا مقررين منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى , مع ذلك فقد لعبت الأزمات المتلاحقة بين السياسة الفرنسية والعهد الفيصلي دورا في السرعة والطريقة التي انتهت إليها الأحداث وصولا للهجوم الفرنسي على دمشق واحتلالها في 1920/7/25 وإسقاط العهد الفيصلي .

كما أن التأريخ لتلك المرحلة المصيرية لايمكن أن يغفل تلك الأزمات التي صنعتها السياسة الفرنسية الإستعمارية وردود الأفعال عليها من قبل شعب ماكاد يتنسم هواء الحرية ويشعر بكرامته وكيانه حتى واجهته تلك القوة الجبارة والمتغطرسة المصممة على حكمه واحتلال بلاده وسحق إرادته .

وسوف نكتفي هنا بأهم الأزمات باعتبار أن الاحتكاك بين السياسة الفرنسية والعهد الفيصلي بدأ منذ دخول الحلفاء لسورية عام 1918 وشمل عددا كبيرا من المواجهات المحدودة السياسية والعسكرية .

أولا : أزمة تعيين حكومات للبنان والساحل من قبل الحكومة العربية .

ثانيا : أزمة سلخ الأقضية الأربعة عن ولاية دمشق والثورات المحلية في تل كلخ والحولة ومرجعيون وجبل الزاوية وجبال العلويين .

ثالثا : أزمة سكة حديد رياق حلب .

رابعا : أزمة رفض استخدام الورق النقدي الفرنسي .

اعترف الجنرال غورو في مقدمة إنذاره أن الوضع خلال وجود القوات البريطانية في سورية حتى انسحابها في تشرين ثاني/ نوفمبر 1919 كان يتسم بالهدوء والاستقرار , وأن التوتر والصدامات المسلحة بدأت بالظهور منذ لحظة استبدال الجيش البريطاني بالجيش الفرنسي في سورية . ويظهر ذلك الإعتراف عمق مشاعر الغضب تجاه فرض الإنتداب الفرنسي المرفوض شعبيا على نطاق واسع . مع ذلك فالحقيقة أن التوتر قد بدأ منذ دخول قوات الحلفاء دمشق لكنه توجه ضد الفرنسيين على نحو خاص .

أولا : أزمة تعيين حكومات للبنان والساحل من قبل الحكومة العربية بدمشق :

كما سبق ذكره فقد أصدر الأمير فيصل بلاغا عاما للسوريين يتضمن تشكيل حكومة عربية مستقلة تماما في سورية , وبمقتضى ذلك فقد عين حكاما لكل سنجق أو متصرفية في سورية بما في ذلك بيروت وطرابلس وجبل لبنان واللاذقية وحماة وحلب وحوران

والكرك ودير الزور . وفي بعض الحالات بادرت الهيئات المحلية لتشكيل حكومات لحفظ الأمن مع انسحاب القوات العثمانية كما حدث في حماة حيث تشكلت هيئة إدارية مؤقتة برئاسة بدر الدين الكيلاني , وفي شمال سورية شكل ابراهيم هنانو حكومة وجيشا في كفر تخاريم ووضع نفسه تحت تصرف الشريف ناصر , وفي اللاذقية تشكلت حكومة تمتد من طرطوس إلى انطاكية وتأسس مجلس وطني برئاسة رشيد طليع , ومع انسحاب الجيش العثماني من بيروت تشكلت حكومة تابعة للحكومة العربية بدمشق برئاسة عمر الداعوق , ورفع العلم العربي فوق دار الحكومة ثم أرسلت الحكومة العربية بدمشق شكري الأيوبي كحاكم باسم الأمير فيصل ومعه 100 جندي لحفظ الأمن والنظام , وبعد وصوله قام بزيارة بعبدا مركزمتصرفية جبل لبنان ودعا مجلس إدارة لبنان للاجتماع وحلف يمين الولاء للحكومة العربية بدمشق كما رفع العلم العربي في بعبدا .

أثارت تلك الاجراءات غضبا لدى الحكومة الفرنسية خاصة مايتعلق بلبنان والساحل السوري واعتبرت تجاوزا غير مقبول من قبل الحكومة العربية واحتجت فرنسا لدى بريطانيا بشدة باعتبار ذلك يخالف الإتفاق بين الدولتين على تقاسم سورية ويخالف أيضا التقسيم الذي أعلنه اللنبي للمناطق السورية الثلاث والتي تم تفويض فيصل فيها بحكم المنطقة الشرقية فقط , ولم يجد فيصل في النهاية بدا من الخضوع لتعليمات الجنرال اللنبي وسحب شكري الأيوبي من بيروت وإنزال العلم العربي .

أما في اللاذقية فقد أنهت السلطة الفرنسية حكومة رشيد طليع , وفرضت بدلا عنها حكومة سميت بحكومة بلاد العلويين وألحقت بها الأقضية والنواحي صافيتا وتل كلخ

وطرطوس وجزيرة ارواد . كما تم فصل لواء اسكندرون عن ولاية حلب وأعطي طابعا إداريا شبه مستقل .

أثارت تلك التقسيمات نقمة السوريين الطامحين لوحدة واستقلال سورية , واتجه البعض إلى مجابهة سياسة الفصل والتقسيم بالمقاومة المسلحة بينما اكتفى آخرون بالمقاومة السلمية بمختلف الطرق السياسية والتظاهرات .

ثانيا : أزمة سلخ الأقضية الأربعة عن سورية وإلحاقها بلبنان الكبير والثورات المحلية :

اتخذت مسألة فصل لبنان عن سورية بعدا واقعيا بعد الحرب العالمية الأولى ودخول جيوش الحلفاء لسورية وانسحاب الجيش العثماني ثم تعززت في طلب وفد ماروني برئاسة البطريرك من كليمنصو تحقيق لبنان الكبيرفي آب/ أغسطس 1919 بعد سفرهم لباريس ووعد كليمنصو لهم بتحقيق ذلك , وبعد ذلك نشأت مشكلة الأقضية الأربعة التابعة لولاية سورية وهي بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا , وبقيت تلك المشكلة لفترة ضمن الأخذ والرد بين الحكومة العربية بدمشق والسلطة الفرنسية ببيروت .

اتفق الطرفان على الإنتظار لحين وصول لجنة كنغ - كراين ومعرفة نتيجة استطلاعها في الأقضية الأربعة , فلما ظهرت تلك النتيجة خلافا لما كان يأمله الفرنسيون , لم يستطيعوا صبرا فأعلن مفوضهم السامي في بيروت في ايلول/سبتمبر 1919 لبنان الكبير بحدوده الحالية أي مع ضم الأقضية الأربعة .

على إثر ذلك الإعلان نشطت مواجهات محدودة بين عصابات وطنية سورية أخذت تتجاوز الحدود اللبنانية وتهاجم مخافر الجند والدرك , لكنها في نشاطها واجهت أيضا الأهالي اللبنانيين الموالين لفرنسا , فاتخذت المواجهات في بعض الأحيان طابعا طائفيا وتدخلت السلطة الفرنسية كحامية للطرف المسيحي لتعمق الإختلاف الطائفي , كما أن نشاط بعض العصابات اتصف بانعدام وجود القيادات الواعية والإنضباط والقيام بأعمال تخرج عن نطاق الأهداف الوطنية . أما الردود الفرنسية فقد اتصفت بالعنف المفرط وإتلاف المحاصيل وقصف القرى القريبة من عمليات العصابات الوطنية .

أشهر تلك العصابات الوطنية كانت عصابات آل دندش في تل كلخ أواخر العام 1919 وعصابات الأمير محمود الفاعور في الجنوب السوري التي قامت بعدة هجمات في حاصبيا وراشيا ومرجعيون وانتهت في أوائل 1920 .

ثورة ابراهيم هنانو في الشمال السوري وصالح العلي في جبال العلويين :

في مطلع تشرين الأول/اوكتوبر 1919 غادر الزعيم الوطني ابراهيم هنانو المؤتمر السوري المنعقد في دمشق متوجها إلى ادلب واجتمع مع وفود قادمة من كفرتخاريم وحارم وجسر الشغور والمعرة وصهيون وغيرها وقرروا إعلان الثورة على الفرنسيين في احتلالهم للمنطقة الغربية من سورية ومواقعهم في الشمال السوري وخاضوا عدة معارك في جبل الزاوية وجسر الشغور وجبل الأربعين وقضاء صهيون , وانضم إليهم من اللاذقية الوجيه اللاذقاني عزيز آغا هارون وعصابته , كما انضم اليهم المناضل العلوي الشيخ صالح العلي من الشيخ بدر والذي خاض عددا من المعارك في الجبل ثم استسلم بسبب فقدان الذخيرة والعتاد الحربي .

ومن بين جميع الثورات السورية في تلك المرحلة كانت ثورة هنانو أقوى الثورات وأشدها ثباتا واستمرت بعد احتلال الجيش الفرنسي قبل أن تتمكن فرنسا من تطويقها وإخمادها في نهاية الأمر .

ثالثا : أزمة سكة حديد رياق حلب :

خلال المعارك المحتدمة بين القوات الفرنسية التي احتلت كيليكية وبين المقاومة التركية اضطر الجيش الفرنسي لإمداد قواته في كيليكية بقوات ومعدات يرسلها من لبنان عبر سكة حديد رياق حلب إلى حلب ثم إلى كيليكية مارا بحمص وحماة , وقدم الجنرال غورو طلبا لفيصل للسماح بمرور القوات والمعدات الفرنسية , فرفض وزير الحربية يوسف العظمة ذلك الطلب باعتبار فرنسا دولة عدوة لسورية وتركيا جارة ليس من حسن السياسة إغضابها .

وقد سبب ذلك اضطرار القوات الفرنسية إلى ارسال الدعم العسكري لكيليكية عن طريق البحر إلى الاسكندرونة وبالتالي تأخر وصوله فترة طويلة أوقعت الجيوش الفرنسية في كيليكية بمأزق ساهم في خساراتها أمام الأتراك , وخلف ذلك غضبا لدى الجنرال غورو عبر عنه لاحقا في شروط الإنذار الذي أرسله لدمشق .

رابعا : أزمة استخدام الورق النقدي الفرنسي :

خلال الوجود الفرنسي في لبنان قامت فرنسا بفتح مصرف تابع لها في بيروت باسم مصرف سورية ولبنان واستورد المصرف كميات من الورق النقدي المطبوع في فرنسا , وفرضت فرنسا استخدام ذلك الورق حصريا في لبنان والساحل السوري , وحاولت مد استخدامه للداخل السوري فمنعت الحكومة العربية بدمشق استخدام ذلك الورق , الذي

كان يعني سحب العملة الذهبية من الشعب مقابل ورق نقدي فرنسي باسم مصرف سورية ولبنان , واعتبرت السلطات الفرنسية في لبنان ذلك عملا عدائيا لحكومة لاتريد الدخول في صداقة مع الدولة الفرنسية , وقد تضمن إنذار غورو أيضا شرط الموافقة على استخدام ذلك النقد .

شكلت تلك الأزمات مجتمعة المدخل للطريقة العنيفة التي اندفعت عبرها السياسة الفرنسية للتعامل مع العهد الفيصلي في النهاية , رغم قبول الحكومة العربية في دمشق إنذار غورو وبالتالي إعلانها الإستسلام الفعلي للإنتداب الفرنسي مما لايترك أي مبرر لدفع الجيش الفرنسي نحو دمشق ودخولها عنوة كمدينة محتلة , وطرد فيصل وحكومته بطريقة مهينة , وفرض الغرامات الثقيلة على الشعب السوري (فرض قائد الجيوش الفرنسية غوابيه غرامة مقدارها مئتي الف ليرة ذهبا على الحكومة السورية التي تسلمت الحكم بعد استقالة الحكومة العربية وخروج فيصل) وإصدار أحكام تجاه عشرات الشخصيات السياسية كالسجن والنفي والإعدام . ولاشك أن ذلك إضافة لمعركة ميسلون قد أسس للثورات السورية فيما بعد .

الفصل الثاني : الديمقراطية في العهد الفيصلي .

يمكن القول إن العهد الفيصلي شهد أول ديمقراطية عربية في العصر الحديث , ديمقراطية اشترك في صنعها الحكم والمجتمع ولم يكن للخارج دور يذكر سوى في نهاية العهد حين تولت فرنسا تدميرها مع تدمير الدولة العربية السورية الوليدة , وعلى النقيض من ذلك , فقد أثارت تلك الديمقراطية وما أنتجته من حركة جماهيرية واسعة مخاوف عميقة في الغرب ساهمت في إطلاق يد فرنسا في احتلال سورية احتلالا عسكريا مناقضا بالكلية لمفهوم الإنتداب الذي وضعه مؤتمر باريس للسلام عام 1919 .

كتب ساطع الحصري في كتابه " يوم ميسلون " واصفا العهد الفيصلي : " لانغالي إذا قلنا إن الدولة التي تألفت عقب الحرب العالمية الأولى كانت دولة عربية بأتم معاني الكلمة , أما من جهة عصريتها فإنها كانت في العمق استمرارا للنزعة التحديثية الدستورية العثمانية في مرحلة " التنظيمات العثمانية " التي واصلها الإتحاديون ".

وكتب رشيد رضا في جريدة المنار عام 1922 عن الديمقراطية في العهد الفيصلي : " وكانت الحرية بجميع أنواعها ولاسيما حرية الإجتماع والخطابة والنشر مما تحسدنا عليه سائر البلاد السورية (يقصد التي بقيت تحت سلطة فرنسا وبريطانيا كلبنان والساحل السوري وفلسطين) ومصر وزال عن دمشق ماكانت مشهورة به في الحفاوة والتعظيم للحكام والوجهاء وشعر الشعب بحريته وكرامته ."

يمكن تمييز مرحلتين من العهد الفيصلي من وجهة نظر انتشار وعمق الديمقراطية أو القيود وإجراءات التضييق على الممارسة الديمقراطية والتجاذب بين بقايا النزعة الملكية التقليدية (عقلية السلطان) والحداثة التي حملها العهد الفيصلي .

وترتبط كل مرحلة بالتحدي الذي واجه ذلك الكيان الوليد وهو كيفية التعامل مع السياسة الدولية من موقع الضعف ومدى الإنسجام مع تلك السياسة أو الخروج عليها وما تمثله المخاطر المحيطة بأي من تلك الخيارات .

ففي المرحلة الأولى الممتدة من إعلان الحكم العربي في دمشق بعد انسحاب الأتراك وحتى اتفاق فرنسا وبريطانيا على سحب الجيش البريطاني من سورية وإحلال الجيش الفرنسي مكانه في إشارة واضحة للعزم على تطبيق اتفاق سايكس بيكو , لم يكن هناك انقسامات سياسية ذات وزن بين الحركة الوطنية السورية وبين الحكم ممثلا بالأمير فيصل , بل كان فيصل رمزا تتجمع حوله مختلف الفئات والأحزاب والتيارات السياسية , وكان هو نفسه عضوا في جمعية العربية الفتاة التي مثلت النواة الصلبة للحركة الوطنية بأكملها في سورية , وسمح ذلك التلاحم بين الحكم والحركة الوطنية بقواعدها الشعبية (لجان الأحياء واللجنة العليا للدفاع) بتطور الحركة الوطنية بطريقة لافتة حتى أصبحت على درجة من القوة ينبغي حسابها في أي قرار سياسي يمس مصير البلاد .

كما سمح ذلك التلاحم بتعميق المفاهيم والممارسات الديمقراطية ضمن نزعة حداثية مستمدة من الثقافة الغربية كرد فعل على المرحلة العثمانية الفائتة بالرغم من أن تلك النزعة الحداثية استمدت أفكارها من النزعة الحداثية التركية (جمعية الإتحاد والترقي)

, وأيضا بدافع استخدام الحداثة لإقناع الغرب والدول الكبرى المتحكمة بمصير المنطقة بأهلية العهد الفيصلي والإعتراف بكيانه الذي كان دائما موضع أخذ ورد .

وقد ظهر ذلك الدافع بوضوح في الأسباب التي أقنعت فيصل بعقد المؤتمرالسوري الأول , بعد أن واجه في مؤتمر السلم في باريس تحديا لشرعية تمثيله السوريين , فكان الرد إنشاء هيئة ديمقراطية منتخبة تشبه الجمعية التأسيسية تعطي للحكم وللأمير فيصل الشرعية للتحدث باسم السوريين وفق المفاهيم الغربية الحديثة .

ووجد ذلك التوجه للحداثة والديمقراطية حاملا له في النخب السورية , والجمهور الذي أصبحت السياسة خبزه اليومي .

ومن وجهة النظر الإجتماعية فقد كانت الديمقراطية الحداثية المركب الذي شقت بواسطته الطبقة الوسطى المدينية طريقها نحو الأعلى مخترقة السقف السياسي الذي كانت الأرستقراطية حريصة على احتكاره , لكن كان على الطبقة الوسطى دفع ثمن ذلك الإختراق حين بدأت الأرستقراطية السورية بدافع من الحفاظ على مصالحها الإقتصادية ومركزها السياسي في الإقتراب من النفوذ الفرنسي تاركة الطبقات الوسطى والشعبية في مواجهة غير متكافئة .

وفي الحقيقة فقد أدركت الأرستقراطية السورية مبكرا ضرورة التفاهم مع فرنسا , وفضلت إبقاء الخطوط معها ولم يكن ذلك نتيجة قراءتها للوضع الدولي فقط ولكن بسبب النفوذ الفرنسي الثقافي والإقتصادي في سورية الداخل فضلا عن لبنان والساحل السوري وفي النقاشات التي جرت ضمن المؤتمر السوري العام المنعقد في 7 حزيران/ يونيو 1919 لوضع مطالب السوريين وتقديمها إلى لجنة كنغ - كراين يذكر يوسف الحكيم في

مذكراته أن السبب في جفوة نشأت بين نسيب البكري والأمير فيصل حين قدم نسيب البكري خطة أعيان دمشق والتي لاترى أي سبب في تفضيل الإنتداب البريطاني على الإنتداب الفرنسي . حينها كان الأمير فيصل يرغب في البقاء تحت عباءة الدولة البريطانية وكان همه إبعاد النفوذ الفرنسي عن سورية .

كما كتب يوسف الحكيم في مذكراته ص87 : " أثبتت الحوادث أن الأعيان بدمشق كانوا يفضلون الإنتداب الفرنسي على البريطاني بل على الإستقلال , لكنهم لم يجرؤوا على على الجهر بآرائهم إلا بعد معركة ميسلون ومنهم : حقي العظم وجميل مردم بيك وحسني البرازي"

أما أسعد داغر في كتابه " مذكراتي على هامش القضية العربية " فكتب يقول : "هناك إشارة إلى أن إبعاد فيصل بعد معركة ميسلون ودخول الجيش الفرنسي دمشق جرى بناء على اقتراح من أعيان دمشق للقيادة الفرنسية لتصفية النفوذ البريطاني وإعلان سورية جمهورية كما جرى في لبنان , للمحافظة على هيكلية دولة مشابهة للدولة اللبنانية " .

حين أعلنت فرنسا وبريطانيا في 26 نيسان/ أبريل 1920 الإتفاق على فرض الإنتداب الفرنسي على سورية ردا على مقررات المؤتمر السوري العام في 7 آذار/ مارس 1920 , بدأ الانقسام الداخلي في سورية يتبلور على نحو غير مسبوق .

وفي المرحلة الثانية حدث اضطراب في المناخ السياسي الداخلي في سورية بعد انتشار إحساس عام بأن فرنسا مصممة على فرض الإنتداب على سورية , وشكل تخلي بريطانيا عن العهد الفيصلي ضربة لمكانة الأمير فيصل .

انحازت الأرستقراطية السورية للأمير فيصل ولاتفاقه مع كليمنصو الذي يعني قبول الإنتداب دون ذكره بالإسم مع الإحتفاظ بكيان العهد بما في ذلك ملكية فيصل , بينما وقفت الحركة الوطنية بمجملها ضد الإتفاق حتى لو أدى ذلك للمجابهة مع السياسة الفرنسية.

ومع ذلك الإنقسام عانت الديمقراطية السورية حالة من التضييق بعد إدراك الأمير فيصل وأركان حكمه وحزبه الوطني الذي استحدث مؤخرا (حزب الملك) كبديل محتمل عن العربية الفتاة , أن الديمقراطية تحمل معها تقييد أيدي الحاكم , حين يكون بحاجة ماسة للمناورة السياسية , بل وتغيير الخط السياسي وفق متطلبات السياسة الدولية .

هكذا اضطر فيصل لتعطيل بعض الصحف ومنها الإستقلال والدفاع التي تمثل اللجنة العليا للدفاع وحرمون وسورية الجديدة والأردن , بعضها تعطيلا مؤقتا, وبعضها بدون تحديد المدة , واضطر لتشكيل الحزب الوطني الذي سماه الشعب " حزب الذوات " في إشارة لطابعه الطبقي , كما صدرت عن فيصل إشارات نحو توجه غير ديمقراطي سوى أن ذلك التوجه اقتصر على تصريحات محدودة .

ولابد من ملاحظة أن الصحف المحلية التي كانت تتمتع بهامش واسع من الحرية ظلت خاضعة لرقابة القيادة العامة للحلفاء ممثلة بالجنرال اللنبي وهناك حالات لتوقيف الصحف , وبعد انسحاب القوات البريطانية تم إلغاء الرقابة على الصحف مع تحذير

المحررين , وعند نقد الصحافة بعد 1920 للأمير فيصل ولأبيه جرى توقيف بعض الصحف وتقديم أصحابها للقضاء العسكري .

وفي خطاب فيصل في النادي العربي بدمشق بعد عودته من باريس واتفاقه مع كليمنصو يقول فيصل بعد أن دعا الشعب إلى ترك السياسة للحكومة , التي يمثلها هو على حد تعبيره : " إنني روح الحكومة , والأمة باعتمادها على الحكومة تعتمد علي " , ودعا أن ينشغل كل واحد باختصاصه موجها نقده لعبد الرحمن الشهبندر, ثم اتجه للقول : " لانريد أن يكون بيننا من يفرقنا , وإذا اقتضى الحال نقول لذلك الشخص اخرج من بلادنا فلسنا إخوانك " وهو تهديد سافر للمعارضة بالنفي , وللإنصاف لم يقترن ذلك التهديد بأي إجراء في الواقع , بل لم يسجل العهد الفيصلي أي ممارسات قمعية كالسجن والنفي والتعذيب والإعدام ومصادرة حرية التعبير ... الخ .

أما الحالة الوحيدة الإستثنائية التي شهدت ممارسة العنف وإطلاق الرصاص على المحتجين فهي الحادثة التي حصلت بعد إعلان القبول بإنذار غورو وتسريح الجيش , حين هاجم متظاهرون قلعة دمشق للسيطرة على مخازن السلاح تحت شعار الدفاع عن الوطن , ويبدو أنهم نجحوا في ذلك بصورة جزئية على الأقل , وقاموا بإطلاق سراح المساجين , مما تسبب في حالة عارمة من الفوضى ربما تخللها أعمال نهب كما ذكرت بعض المصادر , وإثر ذلك قام الشريف زيد على رأس قوة عسكرية بمواجهتهم بإطلاق النار , وسقط في تلك الحادثة عدد من القتلى , وبينما يذكر أمين سعيد في كتابه " الثورة العربية الكبرى - الجزء الثاني - ص190" أن عدد القتلى في تلك الحادثة بتاريخ 20 تموز/يوليو 1920 بلغ نحو 200 قتيل , يذكر طه الهاشمي في مذكراته وكان قد عين

حديثا مسؤولا للأمن العام أن العدد بحدود 25 قتيل و35 جريح , ولم تسجل مثل تلك الحادثة أبدا في تاريخ العهد الفيصلي .

حول حادثة القلعة كتب طه الهاشمي في مذكراته ص61 الآتي :

" بعد أن قررت الحكومة قبول إنذار غورو وتبلغ وزير الحربية يوسف العظمة قرار الحكومة تسريح الجيش , خرج عدة جنود من ثكنة البرامكة , شاهرين السلاح بدعوى أن الحكومة استسلمت للفرنسيين , مروا بشارع النصر , ومروا بحرس الموقع فبدلا من أن يصدوهم , التحقوا بهم , شوقهم المشاغبون فزاد التجمهر , هجموا على القلعة فدافع الدرك , هجموا على مستودع السلاح , صادروه , وأخرجوا المساجين , بدأ إطلاق النار في البلدة واستمر لمنتصف الليل , نهبت بعض الدكاكين , قتل 25 وجرح 35 , حدثت هذه الواقعة بسبب تسريح بعض الجنود واستلام أسلحتهم وإبقاء الآخرين تحت السلاح . "

البنية الديمقراطية للعهد الفيصلي

أولا : المؤسسات الديمقراطية :

ارتكزت الديمقراطية في العهد الفيصلي على مؤسسات تمتلك الحرية والشرعية قادرة على الفعل والتأثير في المجتمع والسياسة ومن تلك المؤسسات :

1 - الأحزاب السياسية :

تشكلت الأحزاب السياسية في العهد الفيصلي في وقت مبكر بعد دخول جيش الشمال العربي دمشق , وأول تلك الأحزاب في الظهور كان حزب الإستقلال الواجهة السياسية الموسعة لجمعية العربية الفتاة , وقد ارتبط نشوءه مع الحاجة لبناء قوة جماهيرية منظمة لمواجهة لجنة كنغ - كراين الموكلة باستفتاء السوريين حول مصير بلادهم , وضمت هيأته الإدارية كلا من :

1 - سعيد حيدر من جمعية العربية الفتاة .

2 - عزة دروزة == == == == .

3 - زكي التميمي == == == == .

4 - فوزي البكري == == == == .

5 - سليم عبد الرحمن == == == .

6 - فايز الشهابي == == == .

7 - عبد القادرالعظم حزب الإستقلال.

8 - أسعد داغر == == == .

لعب حزب الإستقلال دورا سياسيا مركزيا في الحياة السياسية للعهد الفيصلي ومن خلفه جمعية العربية الفتاة التي فضلت أن تبقى بعيدة عن الظهور المباشر على الساحة

السياسية بينما دفعت حزبها كواجهة سياسية عريضة لقيادة الحركة الوطنية الشعبية , مع إبقاء نفوذها القوي داخل الحكومة , وداخل المؤتمر السوري العام , وداخل اللجان الشعبية (لجان الأحياء واللجنة العليا للدفاع) , من أجل ذلك اعتبرت الكاتبة سهيلة الريماوي في كتابها " الحكم الحزبي في العهد الفيصلي " الحكم في العهد الفيصلي حكما حزبيا.

لكن القول بأن العهد الفيصلي شهد حكما حزبيا ليس دقيقا تماما , فهو يوحي بتفرد حزب الإستقلال ومصادرته القرار السياسي في حين أن العهد الفيصلي شهد تعددا لمراكز القرار السياسي فالأمير فيصل كان طرفا مركزيا في ذلك القرار وكذلك المؤتمر السوري الذي كان يضم باستمرار معارضة لحزب الإستقلال , وهناك الصحافة التي تمتعت بحرية شبه كاملة في نقد سياسات الحكومة , كما وجدت باستمرار الاختلافات بين الحكومة من جهة والحركة الوطنية التي يقودها حزب الإستقلال , وفي المرحلة الأخيرة تسببت الإنتقادات المريرة لأداء حكومة رضا باشا الركابي في استقالته مع كونه عضوا في حزب الإستقلال.

وقد شكا الأمير فيصل أكثر من مرة من الجمعيات والأحزاب واللجنة العليا للدفاع حين واجهوا مجتمعين محاولته تمرير اتفاق فيصل - كليمنصو .

صحيح أن حزب الإستقلال ومن ورائه جمعية العربية الفتاة لعبا دورا مركزيا في الحياة السياسية في العهد الفيصلي لكن ذلك الدور لايسمح بالقول إن الحكم كان حزبيا تماما كما هو الحال في الدول الديكتاتورية التي يحكمها حزب قائد للدولة والمجتمع حيث لاتوجد هناك حياة سياسية بأي معنى حقيقي .

والذي يمعن النظر في الحياة السياسية في العهد الفيصلي يجدها أكثر تركيبا من أن توصف بحكم حزب واحد , كما أن الديمقراطية التي تمتع بها ذلك العهد وحدها كفيلة بوضع ذلك التوصيف موضع الجدل والنقاش .

2 - حزب الإتحاد السوري :

تأسس حزب الإتحاد السوري في مصر في كانون أول/ يناير 1918 أي بعد انسحاب الجيوش العثمانية من بلاد الشام , وذلك من قبل مجموعة من المثقفين السوريين المقيمين في مصر , وقد عرف عن تلك المجموعة تواصلها قبل ذلك مع الشريف حسين , ثم ابتعادها عنه , كما اشتهرت برسالتها للحكومة البريطانية في أوائل العام 1918 وقبل انتهاء الحرب وطلبت المجموعة السورية (مجموعة السبعة) فيها من بريطانيا توضيح موقفها فيما يخص مصير المشرق العربي وسورية بصورة خاصة , وهل ستدعم بريطانيا وحدة واستقلال سورية بعد انتهاء الحرب , وقد جاءت تلك الرسالة بعد نشر البلاشفة معاهدة سايكس بيكو التي تقاسمت فيها بريطانيا وفرنسا السيطرة على المشرق العربي واتفقتا على تجزئته ضمن حدود تم وضعها وفقا لمصالح البلدين , ويبدو أن الحكومة البريطانية أظهرت الإهتمام بتلك الرسالة وردت عليها بتاريخ 22 حزيران/ يونيو عام 1918 بوعد يشبه وعد بلفوربالشكل لكنه لم يكن حقيقيا كوعد بلفور . عرف بتصريح سماه لورنس "العهد البريطاني للسوريين السبعة" يتضمن تعهد بريطانيا بدعم حصول شعوب المشرق العربي على حريتها واستقلالها وأن يتخذ بشأنها بعد انتهاء الحرب قرار يتفق مع رغائب شعوبها .

شكلت مجموعة السبعة بعد ذلك حزب الإتحاد السوري وهم : رفيق العظم والدكتور عبد الرحمن الشهبندر وفوزي البكري والشيخ كامل القصاب وخالد الحكيم ومختار الصلح وحسن حمادة بعد انضمام عدد كبير من السوريين في مصر إليهم ومنهم رشيد رضا وميشيل لطف الله , وتم وضع مبادىء الحزب التي تختلف عن مبادىء جمعية العربية الفتاة وحزبها حزب الإستقلال في حصر الإهتمام بسورية الطبيعية على حساب النزعة القومية العربية , دون نفي الهوية العربية وهكذا ابتدأ دستور الحزب بتعيين سورية الطبيعية من جبال طوروس شمالا والخابور والفرات شرقا والصحراء العربية فمدائن صالح جنوبا والبحر الأحمر فخط العقبة ورفح جنوبا فالبحر المتوسط غربا .

وحدد دستور الحزب الديمقراطية اللامركزية كطريقة للحكم , وأن يكون الحكم مدنيا في جميع القوانين والأحكام فيما عدا قانون الأحوال الشخصية الذي يبقى على ما هو عليه " أي حسب القانون العثماني " كما يكون الدستور ضامنا لحقوق الأقليات.

وتم اختيار الأمير ميشيل لطف الله رئيسا للحزب ورشيد رضا نائبا للرئيس , والدكتور عبد الرحمن الشهبندر وسليم سركيس للسكرتارية , وانضم للحزب كل من الشيخ كامل القصاب وخالد الحكيم ووهبة عيسى المحامي ورفيق العظم وغيرهم .

ويلفت النظر موافقة الشيخين كامل القصاب ورشيد رضا على دستور الحزب المتضمن المبدأ الديمقراطي للحكم وكذلك علمانية الدولة التي وصفت بالمدنية في جميع القوانين والأحكام لتمييزها عن الدولة الدينية .

وبدون شك فقد أسست النزعة العلمانية في دستور الإتحاد السوري للنزعة العلمانية في الدستور السوري لعام 1920 الذي وضعته لجنة منبثقة عن المؤتمر السوري العام حين كان رشيد رضا رئيسا للمؤتمر السوري العام .

لعب حزب الإتحاد السوري دورا هاما قبل انتقال رشيد رضا إلى دمشق في العام 1919 بعد اتفاق بريطانيا وفرنسا على سحب بريطانيا جيشها من سورية وإحلال الجيش الفرنسي مكانه , وذلك بدعم القضية السورية والدعاية لها في مصر من خلال الصحافة والنشاط في حقل السياسة الدولية . وانضم لاحقا ليعمل بشيء من التنسيق مع حزب الإستقلال ضمن المؤتمر السوري وعلى صعيد الحركة الوطنية , فانضم رشيد رضا للمؤتمر السوري كممثل عن طرابلس , وشكل كامل القصاب مع محب الدين الخطيب اللجنة العليا للدفاع .

الحزب الوطني السوري :

نشأ في دمشق في 25 كانون ثاني/ يناير 1920 بعد ازدياد التباعد في الموقف السياسي بين فيصل وأقربائه (زيد والشريف ناصر) وقسم من الأرستقراطية السورية وبين الخط السياسي لجمعية العربية الفتاة ومعها حزب الإستقلال والإتحاد السوري واللجنة العليا للدفاع وأغلب الرأي العام بدمشق , ومصدر ذلك التباعد كان الموقف من اتفاقية فيصل - كليمنصوالتي اعتبرها فيصل أفضل مايمكن تحصيله من خلال التوازنات الدولية ومن أجل تجنب الصدام مع فرنسا بعد تخلي بريطانيا عن العهد الفيصلي , أما الفريق الآخر فقد نظر للإتفاق باعتباره تسليما بالإنتداب الفرنسي على سورية , هذا الإنتداب الذي سبق أن رفضه الشعب السوري بقوة في جميع قرارات المؤتمر السوري

العام والذي يعني فقدان السيادة والإستقلال وهما أثمن ما ينبغي الدفاع عنه . كما يتضمن التسليم بالإنتداب الفرنسي على لبنان وانفصال لبنان نهائيا عن سورية ولايعترف بحدود واضحة لسورية مما يعني إمكان اقتطاع أي جزء من سورية كما جرى مع لبنان .

وقد تحول هذا الخلاف إلى موضوع رئيسي في الأجندة السياسية في سورية بعد عودة الأمير فيصل من باريس مطلع العام 1920 , وكان من نتائجه أن حاول فيصل في البداية إعادة تشكيل اللجنة الإدارية لجمعية العربية الفتاة بحيث تصبح أكثر انسجاما مع خطه السياسي لكنه فشل في ذلك فلجأ لتشكيل الحزب الوطني السوري كبديل سياسي للحكم , لكن ذلك الحزب ظل أضعف من مواجهة الحركة الوطنية السورية المتجذرة في دمشق وباقي المدن وداخل المؤتمر السوري العام وفي الشارع أيضا ولم يتمكن من تغيير التوازنات السياسية الداخلية على نحو ملموس .

لايختلف دستور الحزب الوطني عن المبادىء التي كانت تعتمدها بقية الأحزاب كحزب الإستقلال وحزب الإتحاد السوري سوى بتأكيده في بند مستقل على دعم الملكية وكذلك دعم الأمير فيصل بالإسم ومساندته في حكم البلاد وقد تولى محمد الشريقي سكرتارية الحزب وكان مؤلفا من هيأتين إدارية وتضم 16 عضوا منهم محمد كرد علي وسكرتير الحزب محمد الشريقي واستشارية وتضم 25 عضوا معظمهم من وجهاء دمشق وأعيانها ومنهم عبد الرحمن اليوسف , فوزي البكري , علاء الدين الدروبي , الشيخ تاج الدين الحسني , عبد القادر الخطيب , والشريف ناصر .

الحزب الديمقراطي :

ويمثل الواجهة السياسية للجنة العليا للدفاع , وقد حصر هدفه في حشد كل القوى بمواجهة التهديد الفرنسي , وضم عددا كبيرا من القادة العرب في كل المناطق السورية , وتميز خطه السياسي بالتشدد في رفض الانتداب , ومعارضة فيصل في المرحلة الأخيرة من العهد .

2 - المؤتمر السوري العام :

وقد سبق التعرض لنشأته والظروف التي أحاطت بتلك النشأة وطريقة انتخابه , لكن ما ينبغي التوقف عنده هنا هو ذلك التحول الذي جرى للمؤتمر بعد انتهاء مهمته الرئيسية الأولى في مقابلة لجنة كنغ - كراين كممثل عن الشعب السوري .

وبغض النظر عن مصدر فكرة عقد ذلك المؤتمر والتي لابد أنه تم إقرارها من خلال اللجنة الادارية لجمعية العربية الفتاة فقد حدد فيصل للمؤتمر مهمتين اثنتين فقط , تقديم مطالب الشعب السوري إلى لجنة كنغ - كراين وإعداد دستور للبلاد . ومن الواضح في ظل هذا التحديد أن فيصل لم يكن يخطر بباله تحول المؤتمر السوري إلى مجلس نيابي يتدخل بقوة في سياسة الحكم , على الأقل في تلك المرحلة وقبل إقرار الدستور ورسوخ الحكم والدولة في سورية .

لكن تحولا هاما طرأ على وظيفة المؤتمر بانخراطه في الحياة السياسية كأي مجلس نيابي منتخب , وقد جرى هذا التحول خارج إرادة الأمير فيصل , بدفع من الحركة الوطنية السورية بفروعها المتعددة وفي مقدمتها جمعية العربية الفتاة وحزب الإستقلال .

وفي المرحلة الأخيرة من العهد الفيصلي ازدادت الفعالية السياسية للمؤتمر السوري , ووصل به الأمر لمنازعة الأمير فيصل في السلطة عندما جرت المواجهة بينه وبين رشيد رضا عضو المؤتمر ورئيسه في تقرير من له الحق في أن يكون الجهة التي تتقدم إليها الوزارات بأوراقها للإعتماد , فطلب فيصل أن يكون هو تلك الجهة صاحبة الحق في اعتماد الوزارات , بينما أصر رشيد رضا أن يكون المؤتمر هو صاحب الحق في ذلك , واضطر فيصل في النهاية للإذعان للمؤتمر السوري متنازلا عن مطالبته السابقة

برز دور المؤتمر السوري العام بعد عودة الأمير فيصل من باريس والخلاف الذي حصل حول اتفاق فيصل - كليمنصو , فكان لاجتماعه بتاريخ 22 تشرين ثاني/نوفمبر 1919 وقراره بالتأكيد على " برنامج دمشق " والذي صاغته اللائحة المقدمة للجنة كنغ - كراين أثر واضح في دعم التيارالوطني باعتبار ذلك الإتفاق خروجا على المبادىء التي أجمع عليها الشعب , ومن ثم اقتناع فيصل بعدم إمكانية تمرير ذلك الإتفاق والبحث عن البديل في إعلان الإستقلال من جانب واحد ومبايعته ملكا دستوريا على سورية .

وتجلت الفعالية السياسية للمؤتمر أيضا في انتقاد أداء رضا باشا الركابي في حكومته وطلب استقالة تلك الحكومة وتشكيل حكومة دفاع بعد ازدياد احتمالات المواجهة مع فرنسا مما اضطر الركابي للإستقالة وتشكيل حكومة دفاع برئاسة هاشم الأتاسي في 3 ايار/ مايو 1920 وقبل إنذار غورو بأقل من ثلاثة أشهر .

التكتلات السياسية داخل المؤتمر :

كما هو الحال في أي مجلس نيابي ديمقراطي انقسم المؤتمر السوري لكتلتين رئيسيتين , ضمت الكتلة الأولى كلا من حزب الإستقلال وحزب الإتحاد السوري وممثلين عن

اللجنة العليا للدفاع وسميت بحزب التقدم (هنا يختلف مفهوم الحزب فيقارب مفهوم الكتلة البرلمانية كما ورد في أدبيات تلك المرحلة) وفي مقابله كانت هناك كتلة أخرى أقرب للمهادنة مع الفرنسيين هي كتلة الحزب الحر المعتدل منهم عبد القادر الخطيب , جلال القدسي , صلاح الدين الحاج يوسف , دعاس الجرجس)

ويصعب إيجاد الفرق بين الكتلتين في غير مجال الموقف من الإنتداب الفرنسي ودرجة التأييد لخط الأمير فيصل وشخصه أيضا .

بصورة عامة يمكن القول إن الكتلة الأولى مثلت الطبقة السياسية المثقفة الحديثة والأكثر ارتباطا بهموم الشعب , أما الكتلة الثانية فمثلت مصالح الأرستقراطية وما كان يطلق عليهم الأعيان من ملاك الأراضي وكبار التجار ولذلك غلب على أعضائها الشيوخ المتقدمون في العمر .

لم يمثل رجال الدين في المؤتمر كتلة سياسية منسجمة واحدة , فمفهوم الإسلام السياسي لم يكن قد تبلور في ذلك الوقت , وتوزع رجال الدين بين التأييد لكتلة التقدم والكتلة الأخرى , كما ظهر الخلاف بينهم عند مناقشة البند المتعلق بحق المرأة في التصويت كما سيرد لاحقا في الحديث عن الدستور .

المؤتمر السوري والدستور :

كتبت الباحثة البروفيسورة الأمريكية اليزابيث تومسون مقالا بعنوان " رشيد رضا والدستور العربي السوري لعام 1920 : كيف قوض الانتداب الفرنسي الليبرالية الاسلامية " التالي :

" أما الدستور العربي السوري لعام 1920، فقد كان الأكثر علمانية وديمقراطية في الشرق الأوسط حتى الآن. وخلافاً لرغبات الملك فيصل، أنشأ المؤتمر السوري فصلاً بين السلطات والضوابط التشريعية في السُّلطة الملكية ، كما منح حصةً أكبر من السلطة لحكومات المقاطعات، وضمن مساواة المسلمين وغير المسلمين في ظل القانون وفي حرية المعتقد. ولم يشر الدستور إلى الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع ولا إلى الدين الإسلامي كدينٍ رسمي للمملكة "

لعل من أهم منجزات المؤتمر السوري بل العهد الفيصلي هوكتابة الدستور الذي سمي فيما بعد بدستور العام 1920 . وتتجلى القيمة التاريخية للدستور في عدة نقاط :

أولا : أنه أول دستور في التاريخ الحديث لسورية يحمل معاني الحرية والديمقراطية والعلمانية المتصالحة مع الدين .

ثانيا : أن إعداده تم من خلال لجنة منبثقة عن المؤتمر السوري العام الذي أخذ صفة الجمعية التأسيسية . فهو يعبر بهذا المعنى عن إرادة الشعب مع التحفظ عن منحه تلك الصفة بصورة مطلقة باعتبار أن التصديق عليه لم يكتمل لا من المؤتمر السوري العام ولا باستفتاء شعبي .

أما اللجنة التي قامت بوضع الدستور وعددها عشرون فقد تكونت من مجموعة من المثقفين الأكفاء في حقل السياسة والحقوق والقوانين برئاسة هاشم الأتاسي خريج القسم العالي في المدرسة الملكية الشاهانية (المكتب الملكي) في استانبول , وقد بذلوا جهدهم في دراسة الدساتير الأوربية الحديثة ومقارنتها واختيار مايصلح فيها للبيئة الاجتماعية السورية .

ثالثا : أنه عرض على المؤتمر السوري العام أول مرة ثم جرت مناقشته بالتفصيل وفي أثناء النقاش برزت وجهات نظر مختلفة , لكن روح المسؤولية والتضامن تمكنت دائما من حل الخلافات بتنازلات متبادلة , وهكذا سجل التاريخ قدرة ملفتة للنخب السورية في ذلك الوقت على التوافق وحل الخلافات البينية .

أهمية التوافق بين التيار الإسلامي الليبرالي والتيار العلماني القومي في بناء الديمقراطية خبرة دستور العام 1920

لم يكن بإمكان المؤتمر السوري العام مناقشة وإقرار الدستور السوري الذي سمي فيما بعد بدستور 1920 لولا سيادة روح التوافق بين التيارات المتباينة في المؤتمر- والتي يشكل الإنقسام الرئيسي فيها ذلك الحاصل بين العلمانيين والإسلاميين - بدون الإستعداد لتقديم التنازلات المتبادلة من أجل الوصول الى أرضية مشتركة تتيح إخراج الدستور ليس بوصفه غلبة لفريق على فريق ولكن بوصفه وثيقة توافق وطني محل قبول ورضا من قبل جميع الفرقاء .

هذه الأجواء التي سادت داخل المؤتمر كانت ضرورة جوهرية لمنح الدستور الروح التي يمكن له بفضلها أن يكون اللبنة الأساس في بناء الهوية السورية بطريقة ثابتة ودائمة .

حصل ذلك بفضل وجود تيار إسلامي ليبرالي في تلك المرحلة التاريخية كان وريثا لفكر الإصلاحيين الكبار أمثال محمد عبده (وهو المعلم الذي ألهم رشيد رضا عضو المؤتمر السوري ورئيسه لاحقا) وجمال الدين الأفغاني وغيرهم , والى جانب رشيد رضا وقف إسلاميون آخرون كالشيخ سعيد مراد مؤيدين اقتراح (ابراهيم الخطيب) نائب جبل لبنان في منح المرأة السورية الحقوق السياسية مثل الحق في التصويت بينما اعترض على منح ذلك الحق آخرون ليس من وجهة نظر دينية ولكن من وجهة نظر دنيوية تتلخص في تجنب إثارة فتنة اجتماعية في مجتمع مازالت التقاليد متحكمة فيه .

وفي النهاية استقر الأمر على ترك تلك المسألة جانبا بمعنى عدم البت فيها سلبا أو ايجابيا مما يفتح الباب أمام مراجعتها في ظروف أكثر ملاءمة , متخذين من فقرة أخرى في الدستور تحدد الحق في التصويت للمواطن السوري بشروط مثل بلوغ سن معينة دون تحديد جنس المواطن ذكرا أم أنثى وبالتالي يمكن الاستناد لتلك الفقرة في السماح للمرأة السورية بالتصويت اذا تأكد القانونيون أن ذلك لن يحدث فتنة في المجتمع .

وحين أثار الإسلاميون ضرورة وضع فقرة تنص على أن دين الدولة هو الإسلام , اعترض العلمانيون بأن وصف دين الدولة يعني أن الدولة لم تعد دولة مواطنة متساوية لجميع الأديان وهكذا تراجع الإسلاميون مكتفين بالنص على أن دين الملك هو الإسلام .

لم يرض الإسلاميون بالنص على العلمانية صراحة مما قد يفسر على أن الدولة دولة إلحاد من قبل جمهرة واسعة من الشعب فتراجع العلمانيون واكتفوا بوصف الدولة باعتبارها دولة مدنية بمعنى أنها ليست دولة دينية .

هذه الروح التوافقية سمحت بالمضي في وضع الدستور ومناقشته فقرة فقرة والوصول إلى إقراره بالقراءة النهائية لسبعة بنود فيه عندما قطع يوسف العظمة اجتماع المؤتمر ليعلمهم بخطورة الوضع في 13 تموز/ يوليو 1920 عشية وصول إنذار غورو.

الأحكام العامة في الدستور :

جاء في الفصل الأول من الدستور حول الأحكام العامة :

مادة 1: إن حكومة المملكة العربية السورية , حكومة ملكية مدنية نيابية , عاصمتها دمشق الشام , ودين ملكها الاسلام .

مادة2 : المملكة السورية تتألف من مقاطعات ذات وحدة سياسية لاتقبل التجزئة .

مادة 3 : المقاطعات مستقلة استقلالا إداريا بمقتضى هذا القانون , ويسن المؤتمر قانونا خاصا يبين فيه حدود هذه المقاطعات .

مادة4: اللغة الرسمية في جميع المملكة العربية السورية هي اللغة العربية .

تعتبر تلك المقدمة أهم جزء يميز بنية الدولة , وبصورة خاصة الإشارة لكونها ملكية مدنية نيابية , فهي ملكية دستورية, الملك فيها ليس ملكا مطلق الصلاحية كحال

السلاطين والخلفاء الذين عرفهم التاريخ العربي - الإسلامي ولكنه مقيد بالدستور الذي يحدد صلاحياته لاحقا , فوفقا للمادة 9 من الفصل الثاني لايكون إعلان الحرب وعقد المعاهدات نافذا مالم يصادق عليها المؤتمر العام .

ووفقا للمادة 33 من الدستور " لاتسري أوامر الملك إلا إذا كانت موقعة من رئيس الوزراء والوزير المختص , أما المادة 28 فقد نصت على أن الحكومة مسؤولة أمام المجلس النيابي .

وتحديد كون الدولة مدنية ينفي عنها كونها دولة مؤسسة على أساس الدين , بل هي دولة المواطنين الأحرار المتساوين في الحقوق والواجبات بغض النظر عن عقائدهم , أما كونها نيابية فهو لتثبيت المبدأ الديمقراطي في بنية الدولة فالمجلس النيابي ليس مؤسسة ثانوية أو هامشية كحال مايعرف بالمجالس الإستشارية لكنه يقع في صلب بنية الدولة بالتالي فهو مؤسسة ديمقراطية فاعلة ونافذة في الحياة السياسية ويعكس إرادة الشعب الذي انتخب أعضاءه .

وفي المادة الثالثة من الفصل الأول يقرر الدستور مبدأ اللامركزية في إدارة البلاد , ولاشك أن ذلك المبدأ قد أخذ بعين الاعتبار خصوصية الوضع اللبناني بالدرجة الأولى فسورية التي يعترف بها الدستور ليست في ذلك الوقت سوى سورية الطبيعية رغم أن مسألة الحدود لم تكن محسومة بعد بالنسبة لكيليكية والجنوب سوى اعتبار فلسطين جزءا لايتجزأ من سورية , وتبقى الحدود مع العراق والحجاز ونجد مسألة معلقة برسم حلول يتفق عليها لاحقا .

حول شكل الحكم في دستور 1920

يمكن في دستور 1920 رؤية مدى تأثير دستور 1908 العثماني في شكل الحكم , وليس ذلك غريبا باعتبار اللجنة التي كلفت بكتابة الدستور تحصلت على ثقافتها الحقوقية في المعاهد العثمانية في استانبول كما أن الرأي العام السياسي كان ينظر بإيجابية إلى الدستور العثماني باعتباره مستمدا من قيم الحداثة الغربية مع مراعاة الثقافة الإسلامية .

ويمكن ملاحظة التشابه بين الدستورين في عدة مواضع مع دفقة تحديثية عربية , فالهيئة التشريعية مكونة من مجلسين , مجلس النواب ومجلس الشيوخ ويقابلها في الدستور العثماني مجلس الأعيان ومجلس المبعوثان , وطريقة انتخاب مجلس النواب تشبه الى حد كبير طريقة انتخاب مجلس المبعوثان (الإنتخاب على درجتين) كما أن التقسيمات الإدارية تتشابه بصورة واضحة مع اختلاف المسميات , فالولايات جاء ذكرها في الدستور السوري باسم المقاطعات , والولايات تنقسم إلى سناجق أو ألوية في الدولة العثمانية أما في الدستور السوري فتنقسم المقاطعات إلى متصرفيات ومديريات وهنا توقف الدستور السوري ليحيل التقسيم التالي لقانون يسنه المؤتمر العام فيما حددت الدولة العثمانية التقسيمات بصورة نهائية بتقسيم السنجق إلى أقضية , وتحديد شكل استثنائي هو المتصرفيات التي لاترتبط بالسنجق ولا بالوالي بل بالحكومة المركزية مباشرة مثل متصرفية جبل لبنان .

يقابل الوالي في الدولة العثمانية الحاكم العام في الدستور السوري , وينفرد الدستور السوري بتشكيل مجلس محلي منتخب يقيد سلطة الحاكم العام للمقاطعة ويسن القوانين المحلية شرط عرضها على رئيس البلاد (الملك) وأخذ موافقته وأن لاتتعارض مع القوانين التي يضعها المؤتمر العام .

هل يمكن القول إن هذا النمط من التقسيمات الإدارية هو فدرالية أم لامركزية مستوحاة من التقسيمات العثمانية مع إضفاء طابع أكثر حداثة وديمقراطية بتشكيل المجالس المحلية المنتخبة ؟

في الحقيقة هناك التباس حول هذا الموضوع , لكن الصلاحيات الواسعة جدا للحكومة المركزية (المسماة الحكومة العامة) وماجاء صراحة في المادة 122 من الدستور السوري في أن المقاطعات تدار على الطريقة اللامركزية في إدارتها الداخلية ما عدا الأمور العامة التي تدخل في اختصاص الحكومة المركزية (العامة) يجعل المرء يميل لكون المسألة لاتخرج عن كون ذلك النظام نظام حكم لامركزي كما اختار المشرعون وصفه في الدستور .

ويدعم ذلك أن المشرعين كانوا على علم بالنظام الفدرالي بحكم دراستهم للدستور الأمريكي والبلجيكي والفرنسي أثناء وضعهم الدستور السوري كما ذكر الباحث أحمد القربي في بحثه المقدم للمؤتمر الذي عقد في بيروت 2019 حول العهد الفيصلي والذي طبع لاحقا مع الأبحاث الثمانية عشر في كتاب صادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات تحت عنوان " الحكومة العربية في دمشق – التجربة المبكرة للدولة العربية الحديثة 1918 -1920 " بالتالي فكان متوقعا استخدامهم صراحة في الدستور لذلك المصطلح لو كانوا يقصدونه , بينما لم يرد ذلك نهائيا في الدستور . ولا في أي نقاش حول تلك المسألة كما لم يرد في الأدبيات السياسية التي بين أيدينا (على كثرتها) بين النخب والأحزاب الوطنية – السياسية والصحافة .. الخ ..بينما ورد مثل ذلك في

تصور العلاقة بين سورية والعراق , وفي مرحلة متأخرة من العهد الفيصلي بين سورية ولبنان أيضا .

3 - اللجان الشعبية :

في البداية نشأت لجان الأحياء بدافع توسيع القاعدة الإجتماعية للأحزاب الوطنية خاصة حزب الإستقلال , وقد حددت أهدافها برعاية مصالح الطبقات المتوسطة والفقيرة في أحياء دمشق ورفع مستوى الوعي الإجتماعي والسياسي لتلك الأحياء وفي النهاية دفعها للمشاركة في الحياة السياسية عن طريق الإجتماعات والمظاهرات بالتنسيق مع الأحزاب الوطنية , وقد حددت الأهداف بتعبير ذلك الوقت كالتالي : " إنعاش روح القومية العربية , توثيق الروابط بين الأفراد والجماعات والطوائف , مقاومة الإستيطان "

وتشكلت لجان في 48 من أحياء دمشق ثم ازداد عددها إلى حوالي 250 لجنة ولعب الشيخ كامل القصاب دورا بارزا في تلك اللجان وبعد اقتراب تهديد فرض الانتداب الفرنسي وبتاريخ تشرين ثاني/ نوفمبر 1919 نشأت اللجنة العليا للدفاع التي عبرت عن إرادة شعبية في الإضطلاع بمهمة الدفاع عن الوطن وبدأت بتكوين فصائل مقاتلة يتولى تدريبها ضباط من الجيش , وصل عدد المتطوعين للتدريب على القتال عدة آلاف ساهم 1000 منهم في معركة ميسلون , وامتد تشكيل اللجان للمدن السورية الأخرى , وانضم إليها أفراد من الأحزاب السياسية وأعضاء من المؤتمر السوري العام , لكن الإنجاز الأهم لتلك اللجان كان في ميدان السياسة , فقد دعمت الجناح الوطني ضمن الحكم وخارجه وجعلت الخروج على الإجماع الوطني مسالة صعبة في ظل تحكم شبه كامل في الشارع السياسي , وهذا ما اضطر الدارسين في الغرب لاستخدام مصطلح " السياسة

الجماهيرية " في وصف النفوذ الذي تمتعت به الحركة الشعبية في القرار السياسي إبان العهد الفيصلي .

4 - الصحافة :

انتشرت الصحافة في العهد الفيصلي بصورة لم يسبق لها مثيل , ففي دمشق وحدها بلغ عدد الصحف حوالي 21 صحيفة , وكان لكل حزب سياسي صحيفة ناطقة باسمه أو أكثر , ومن تلك الصحف :

1) صحيفة العاصمة ويرأس تحريرها محب الدين الخطيب بتوجيه من جمعية العربية الفتاة بدون أية مراقبة حزبية , وقد عكست رأي جمعية العربية الفتاة المنحاز للحركة الشعبية .

2) صحيفة المفيد يرأس تحريرها خير الدين الزركلي زميل الخطيب في العربية الفتاة .

امتلكت الصحافة هامشا واسعا من حرية الرأي والتعبير ولم يتم التعرض لها سوى نادرا وفي المرحلة الأخيرة من العهد الفيصلي مع اتساع النقد الموجه للحكم ولفيصل والشريف حسين حيث تم تعطيل عدد من الصحف كما ورد في مكان آخر من هذا الكتاب .

5 - النادي العربي :

تأسس النادي العربي من قبل رضا باشا الركابي ضمن أجندة ثقافية كملتقى للمثقفين العرب بعيدا عن السياسة , لكنه مالبث أن تحول إلى ناد سياسي بامتياز , فكانت الإجتماعات تعقد فيه لمناقشة الأوضاع السياسية لمختلف الأحزاب والتيارات , وكذلك

المؤتمرات , وفي مرحلة متقدمة أصبح منطلقا للمظاهرات الشعبية , هكذا أصبح النادي العربي فضاء حرا مفتوحا للنشاط السياسي يتكامل مع الصحافة والأحزاب واللجان الشعبية في صنع الحركة الوطنية أو " السياسة الجماهيرية " وفق مصطلح البحث التاريخي لاحقا .

ثانيا : الديمقراطية في الحياة السياسية :

1 - العلاقة بين الحكم وممارسة الديمقراطية في الحياة السياسية :

ينبغي أن نأخذ بالاعتبار في تصور الديمقراطية التي يرسمها الدستورلسورية الدولة الجديدة التجربة السياسية للحكم في العهد الفيصلي وبخاصة في العلاقة بين الشعب والمؤتمر السوري العام وكافة المؤسسات والكيانات الديمقراطية من جهة بين فيصل كأمير ثم كملك وبين تلك المكونات .

وفي هذا السياق لايمكن إهمال الطريقة الديمقراطية التي عالج بها الحكم والأمير فيصل خاصة مسألة العلاقة بينه كحاكم وبين المؤتمر السوري واللجان الشعبية والأحزاب والحركة الوطنية بصورة عامة .

لم يلجأ فيصل قط إلى فرض رأيه قسرا , أو تجاهل المعارضة , والتفرد باتخاذ القرارات السياسية الهامة والمصيرية , بل كان باستمرار يسعى للحصول على موافقة الأغلبية ضمن اللجنة الادارية لجمعية العربية الفتاة . ومن حوله من رجالات العهد والإصغاء للرأي العام ومن يعكسه مثل اللجنة العليا للدفاع .

ويمثل تراجعه عن اتفاق فيصل - كليمنصو أمام ضغط القوى الوطنية والشعبية شاهد إثبات لتفضيله الخيار الديمقراطي والالتزام به في أشد أوقات المحنة .

ويمكن القول إن فيصل وبفضل الإجماع الذي حصل عليه في المرحلة الأولى لعب دورا هاما في التجربة الديمقراطية للعهد الفيصلي , رغم أن المرحلة الثانية شهدت ملامح تضييق للديمقراطية لكن دون أن يعني ذلك أبدا الدخول بطور الإستبداد .

يمكن الجدل حول الطريقة الديمقراطية لفيصل في إدارة الحكم باعتبارها سياسة الضرورة أكثر منها سياسة المبدأ , ففيصل لم يكن خلال فترة حكمه كلها في مركز قادر على ممارسة الإستبداد , فما تحت يده من القوى لم يكن كافيا لمواجهة الحركة الوطنية وقمعها , فجيش الشمال العربي ببنيته الحجازية قد تم تسريح غالبيته الساحقة ولم يبق منه سوى بضع مئات من الجند والتي بالكاد تكفي لحراسة القصرومواكبة تحركات الأمير, وقد أهمل بناء جيش وطني وفق أوامر قيادة التحالف على الغالب لفترة طويلة , وفي المقابل اتسع نطاق الحركة الوطنية , وكانت بتعبيراتها المتنوعة وصولا لبناء قوة عسكرية تحت سلطة اللجنة العليا للدفاع تشكل رادعا لأية ميول استبدادية , وهناك أيضا شعور فيصل وأخيه زيد بشيء من الغربة عن الوسط الإجتماعي الدمشقي , وقد دفع ذلك الشعور زيدا للتفكير في ترك سورية والعودة للحجاز عندما ازداد انتقاد السوريين

لسياسة فيصل في مهادنة فرنسا والاتفاق مع كليمنصو على معاهدة تخالف المبادىء الوطنية التي كانت محل الإجماع منذ المؤتمر السوري العام الأول . وربما تسرب ذلك الشعور لفيصل في وقت من الأوقات أيضا .

ويمكن أن نضيف لعوامل الضعف التي أسست للطريقة الديمقراطية في إدارة الحكم ذلك الغموض الذي أحاط بالسياسة البريطانية مع دخول جيوش الحلفاء لدمشق , والإشارات المتلاحقة عن وجود خطة متفق عليها مع فرنسا لاقتسام المشرق العربي , ولاشك أن فيصل كان يشعر بازدياد ابتعاد بريطانيا عن دعم الكيان السوري منذ مؤتمر باريس حين تمنعت عن المشاركة بلجنة كنغ - كراين , ثم دفعت مؤتمر السلام للموافقة على مبدأ الانتداب على سورية ثم اعتذرت عن أن تتولى هي ذلك الإنتداب وأخيرا حين سحبت جيوشها من سورية مفسحة المجال لدخول الجيوش الفرنسية , وأخيرا حين أفصحت عن نياتها بوضوح في مؤتمر سان ريمو الذي قرر فرض الإنتداب الفرنسي على سورية .

وبسبب نقص الدعم البريطاني والخوف من السياسة الفرنسية التي لم تعترف منذ البداية بفيصل سوى بوصفه أميرا حجازيا وقائدا عسكريا لقوة رديفة حاربت مع الحلفاء , وجد فيصل نفسه غير قادر على فقدان الدعم الشعبي السوري ومواجهة الحركة الوطنية السورية .

ومثل ذلك الجدال يمتلك بالطبع منطقا قويا لكنه مع ذلك ليس كافيا للقول إن ديمقراطية فيصل هي محض ضعف , فالضعف يمكن ترجمته بأكثر من أسلوب للحكم , ويبقى من حق فيصل وصفه بالحاكم الديمقراطي بعد ذلك كله .

وليس المهم هنا محاكمة فيصل بشأن أصالة ديمقراطيته مثلما المهم التقاط دور طريقته الديمقراطية في الحكم كأحد المكونات الرئيسية المتضافرة للديمقراطية التي وسمت العهد الفيصلي والتي تعتبر أحد أهم ماتركه ذلك العهد القصير والغني للسوريين من ميراث عبر الأجيال .

ثالثا : مظاهر الديمقراطية في الحياة السياسية :

1 - حرية التعبير : وكانت مصانة إلى حد يذكرنا بحرية التعبير التي تتمتع بها الدول الأوربية الديمقراطية اليوم , ويكفي للدلالة على ذلك ماجرى بين رشيد رضا والملك فيصل حين نشأ الإختلاف حول حق المؤتمر في منح الثقة للحكومة حيث رفض الملك في البدء ذلك الحق وطلب أن يكون هو من يمنح الثقة للحكومة وجادل رئيس المؤتمر السوري رشيد رضا في أن المؤتمر ليس مجلسا نيابيا ليكون له الحق في منح الحكومة الثقة فأجابه رشيد رضا أن المؤتمر أعلى مكانة من مجلس نيابي فهوجمعية تأسيسية .

رد الملك : لكني أنا من أنشأت هذا المؤتمر فأجابه رشيد رضا : بل هو الذي جعلك ملكا على سورية بعد أن كنت أميرا حجازيا .

2 - حرية الصحافة : وقد سبق الحديث عنها بشيء من التفصيل .

3 - حرية الإجتماع والتظاهر .

4 - حرية تأسيس الأحزاب والجمعيات واللجان الشعبية وممارسة النشاط السياسي .

5 - انتخاب المؤتمر السوري العام ضمن مناخ من الحريات , وهكذا تم انتخاب محمد فوزي باشا العظم كعضو في المؤتمر ثم كأول رئيس للمؤتمر رغم ماعرف عنه من معارضة لثورة الشريف حسين .

6- نشاط المؤتمر السوري وانخراطه في السياسة ودوره كمرجع للحكومة في قبول أو رفض المبادرات السياسية بما في ذلك مشروع اتفاق فيصل - كليمنصو الذي رفضه المؤتمر .

7 - ورد سابقا دور المؤتمر السوري في وضع ومناقشة الدستور والتصويت على مواده بندا بندا لغاية انقطاع ذلك العمل بدخول الجيش الفرنسي لدمشق .

الفصل الثالث : السياسة الدولية والعهد الفيصلي - جدل الداخل والخارج .

أولا : عالم مابعد الحرب العالمية الأولى :

لايمكن فهم السياسة الدولية في زمن العهد الفيصلي دون دراسة أثر الحرب العالمية الأولى في إعادة تشكيل النظام الدولي , فقد كانت الحرب أشبه بزلزال دمر أسس النظام الدولي السابق بصورة تامة وأعاد تأسيسه وفق النتائج العسكرية التي تمخضت عنها الحرب .

وإذا كنا ننظر اليوم بكثير من الألم لما جاءت به اتفاقية سايكس - بيكو , فربما يتوجب علينا أن نتذكر أن تلك الاتفاقية ليست سوى واحدة من معاهدات كثيرة أعادت تشكيل دول العالم القديم السابق على الحرب .

وبصورة خاصة فقد انفرط عقد ثلاثة إمبراطوريات كبرى وخرجت من عباءتها دول لم يكن لها وجود , وهي الإمبراطورية النمساوية - المجرية والإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية العثمانية , ومن الإمبراطورية النمساوية - المجرية خرج من عباءتها كل من النمسا والمجر وصربيا وسلوفاكيا وكرواتيا وتشيكيا كما ضمت بعض أراضيها لدول أخرى مثل ايطاليا ورومانيا وأوكرانيا وبولندا , أما الإمبراطورية الألمانية فقد فقدت 10% من أراضيها لصالح الدول الأخرى وفرضت عليها غرامات حرب باهظة وقيد جيشها واقتصادها , وتعرضت الإمبراطورية العثمانية لأسوأ النتائج فحسب معاهدة سيفر 1920 تخلت الدولة العثمانية عن جميع البلاد الناطقة بغير اللغة التركية , وقسمت

تركيا ذاتها إلى دول ومناطق نفوذ بحيث لم يبق للدولة العثمانية سوى منطقة الأناضول بينما منحت كل من اليونان وإيطاليا وفرنسا وإنكلترا أراض ومناطق نفوذ واعترف بدولة أرمنية في الشمال الشرقي ومشروع دولة كردية في الشرق, لكن ذلك لم يدم طويلا فأمام حرب الاستقلال التي شنتها الجيوش العثمانية التي تمردت على حكومة استانبول ودعمها الشعب التركي تراجعت الدول الكبرى واعترفت بتركيا بحدودها الحالية في معاهدة لوزان 1923 .

استطاعت تركيا إذن إفشال ماهو أسوأ من سايكس بيكو في حين عجز العرب عن تنظيم أية مقاومة لذلك المخطط , ولم يكن ذلك غريبا أو غير متوقع فأوضاع المشرق العربي لم تكن مؤهلة لتمكينه من مقاومة سايكس بيكو , فلم يكن لديه دولة ولا جيش ولا اقتصاد عشية خروجه من عباءة الدولة العثمانية , بخلاف الدولة العثمانية ذات المؤسسة العسكرية العريقة التي استطاعت أن تستعيد بسرعة مستوى من التماسك للدفاع عن وطن مهدد بالزوال ووقفت خلفها بقوة كتلة شعبية واسعة منسجمة مستعدة للقتال لحماية وجود الدولة والوطن .

كانت سورية وحدها في مواجهة سايكس بيكو مثل طفل رضيع لايملك شيئا من عوامل القوة , والتشبيه ليس من عندي بل هو ما ورد في خطاب الأمير فيصل في حلب بعد انسحاب الجيش العثماني من سورية.

لكن فيصل نسي أن ذلك الطفل كان بمواجهة الضباع أيضا , أما ثورته العربية الكبرى فلم تكن قادرة على حماية نفسها لتتمكن من حماية ذلك الطفل السيء الحظ .

الحماية الوحيدة التي كانت متاحة للمشرق العربي في مواجهة سايكس بيكو هي البقاء تحت عباءة الدولة العثمانية في تلك المرحلة الصعبة والخطيرة , والقتال مع الجيش العثماني , فحتى مع هزيمته في الحرب العالمية كان يمكن إفشال مخطط التقسيم والإستيطان كما أفشلت تركيا مخطط تقسيمها وأجبرت الحلفاء المنهكين من الحرب على التراجع عن مخططاتهم الإستعمارية الخبيثة .

وذلك كان رأي كثير من العقلاء العرب ومنهم الأمير شكيب أرسلان وهو أن ضرر العثمانيين أخف من ضرر الحكم الفرنسي أو البريطاني وكتب في رسالة تحذير لمؤتمر الجمعيات العربية في باريس في 1913 : " البديل عن الحكم العثماني ليس الحكم العربي ولكن الحكم البريطاني والفرنسي فاختيار العثمانيين هو اختيار لأخف الضررين (كتاب شكيب أرسلان : تاريخ الدولة العثمانية – المقدمة) " .

اجتمعت في باريس في 18 كانون ثاني/ يناير 1918 الدول المنتصرة في الحرب , لتكون أمام مهمتين رئيسيتين الأولى هي تثبيت معاهدات الإستسلام للدول المنهزمة بإعطائها طابعا حقوقيا دوليا لمرحلة طويلة قادمة ومنعها من أن تشكل أي تهديد سواء بتجريدها من القوة العسكرية (فرضت على ألمانيا شروط عسكرية قاسية منها أن لايتجاوز عدد جيشها 100000 جندي وتجريدها من السلاح الثقيل وإلغاء نظام التجنيد الإجباري وغير ذلك) وتم اقتطاع أجزاء من الأراضي الألمانية وسلبها مستعمراتها الافريقية ...الخ (معاهدة فرساي)

ووقعت معاهدات استسلام أيضا مع كل من الإمبراطورية النمساوية المجرية وبلغارية والدولة العثمانية .

أما المهمة الثانية فكانت كيفية تقاسم غنائم الحرب بين الدول المنتصرة , وقد استغرق ذلك معظم الوقت المتاح للمؤتمر وجرى بطرق علنية وسرية , وحظيت الدولة العثمانية بنصيب هام من ذلك الجهد .

رافق ذلك كله إنشاء هيئة عالمية تعبر عن النظام الدولي الجديد (عصبة الامم المتحدة) وقد خلصت تلك الهيئة إلى إقرار مبدأ الانتداب كغطاء قانوني دولي وصيغة متقدمة لما كان يعرف بالاستعمار الغربي .

وقد تم التوصل لتلك الصيغة كحل وسط بين الفكرة التقليدية التي كانت تمنح الدول الغربية حق احتلال الدول المتخلفة ونهبها تحت دعوى نقل الحضارة والمدنية والتي عرفت باسم الإستعمار وبين المبادىء الأربعة عشر التي أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس ويلسون والتي تدعو لإنهاء استعمار الشعوب وحقها في تقرير المصير .

هكذا بدلا عن حق تقرير المصير وضعت فكرة الإنتداب وتم تفسيرها بأن بعض الشعوب الخارجة من رحم الإمبراطوريات المتفككة ليست في حالة تؤهلها لانشاء دولة عصرية , وبالتالي لابد من أن تتولى إحدى الدول المتقدمة تقديم المساعدة لها والإشراف على مؤسساتها الإدارية والإقتصادية والعسكرية بصفة استشارية لغاية وصولها لوضع دولة حديثة يمكن قبولها والإعتراف بها في المجتمع الدولي .

وفي هذا السياق فقد تم وضع تصنيف للشعوب حسب معايير التقدم وصنف المشرق العربي بأنه على درجة من التقدم بحيث يمكن الاعتراف بشعوبه كأمم مستقلة مؤقتا لكنها بحاجة للانتداب لفترة محددة.

وهكذا تم إقرار مبدأ الإنتداب بالنسبة لسورية والعراق , لكن ماينبغي التوقف عنده هو الشرط الذي تم وضعه لذلك الإنتداب والتي قامت فرنسا وبريطانيا بضربه بعرض الحائط حين اتخذت من الإنتداب غطاء لاحتلال المشرق والتصرف بمصيره لفترة طويلة قادمة . وهو الذي يتطلب أن تؤخذ رغبات هذه الشعوب بالنسبة للدولة التي تننتدب عليها كما تنص المادة 22 الصادرة عن عصبة الأمم والتي حددت مفهوم الإنتداب .

وبعد اعتماد مفهوم الإنتداب واعتماد تطبيقه على الشعوب الخارجة من الدولة العثمانية أصبح لدى أهم الدول الإستعمارية في ذلك الزمن بريطانيا وفرنسا الغطاء الدولي لاقتسام المشرق العربي والتحكم بمصيره وفق اتفاق سايكس بيكو ووعد بلفور.

مع ذلك فقد استغرق الأمر بعض الوقت للإنتقال لتطبيق الإنتدابات , وذلك لعدة أسباب منها مطالبة بريطانيا بالموصل الذي كان من حصة فرنسا حسب سايكس بيكو , والدخول في مفاوضات مع فرنسا لتعديل ذلك الاتفاق وقد تم ذلك وأعلن رسميا في مؤتمر سان ريمو في 26 نيسان/ أبريل 1920 مقابل منح بريطانيا لفرنسا الإنتداب غير المشروط على سورية الداخلية والتي كان اتفاق سايكس بيكو يحدد وضعها كدولة عربية شبه مستقلة بنفوذ فرنسي مما كان سيسمح ببقاء المملكة العربية السورية برئاسة فيصل كملك مع انتداب فرنسي .

والسبب الآخر هو انشغال الدول الكبرى باتفاقيات الإستسلام مع ألمانيا والامبراطورية النمساوية - المجرية وبلغاريا وتقاسم الغنائم الأخرى وأيضا الإنتهاء من المعاهدة مع الدولة العثمانية عقب توقيع الهدنة معها ووقف الأعمال الحربية في اتفاق مودروس

بتاريخ 30 تشرين أول/ اوكتوبر 1918 وبالتالي أخذ توقيعها على التخلي عن جميع البلاد العربية التي كانت تحكمها سابقا لاستكمال المقدمات الضرورية لتقاسم تلك البلدان وقد استغرق ذلك حوالي سنتين لغاية الإنتهاء منه وتوقيع معاهدة سيفر في 10 آب/ أغسطس 1920 ويمكن ملاحظة أن فرض الإنتداب الفرنسي على سورية والهجوم العسكري على دمشق قد تم على عجل حتى قبل توقيع الاتفاق مع تركيا تحت ضغط الأحداث في سورية وسياسة الجنرال غورو التي اتصفت بالشدة والميل لاستخدام القوة دون أخذ كثيرمن الإعتبار للسياسة الدولية ومتطلباتها .

أما السبب الثالث فهو الإرباك الذي أحدثه دخول السياسة الأمريكية على الخط ضمن مؤتمر باريس والإحراج الذي أجبر بريطانيا وفرنسا للموافقة على إرسال لجنة لاستفتاء الشعب في سورية , ذلك الإستفتاء الذي لم يكن يعني في الواقع سوى معرفة أي انتداب يفضل الشعب السوري بعد أن أصبح الإنتداب أمرا مقررا في مؤتمر السلم بباريس .

هكذا استغرق الأمر بعض الوقت في تشكيل اللجنة وإرسالها لسورية وقيامها بأعمالها الإستطلاعية خلال عدة أشهر قبل عودتها لباريس ثم إلى الولايات المتحدة بعد أن انسحبت الولايات المتحدة من مؤتمر باريس وتركت موضوع البحث في مصير المشرق العربي لبريطانيا وفرنسا بصورة نهائية .

ولم يعد للللجنة وتقريرها أي وزن في السياسة الدولية تجاه المشرق العربي والتي استقرت بيد بريطانيا وفرنسا.

أدرك الأمير فيصل مبكرا أنه يواجه قرارا دوليا متفقا عليه سلفا بين بريطانيا وفرنسا , وكل ما كان يقدر عليه ويحاوله هو أن يجد لنفسه وللكيان الفيصلي مكانا داخل ذلك القرار , وفي أحسن الاحتمالات بإدخال شيء من التعديل عليه .

يقسم اتفاق سايكس بيكو سورية الطبيعية إلى عدة أقسام , ففلسطين وبالأحرى القدس وماحولها يفترض أن تكون تحت سلطة مشتركة فرنسية بريطانية روسية , وبعد ثورة البلاشفة خرجت روسيا من الإتفاق وبقيت فرنسا وبريطانيا , أما لبنان والساحل السوري حتى انطاكية وكيليكية فهو منطقة تحت الإدارة المباشرة لفرنسا , وهناك منطقة إلى شرق الساحل السوري تضم المدن الأربعة الرئيسية دمشق وحمص وحماة وحلب اتفق على دولة عربية شبه مستقلة فيها تحت الحماية الفرنسية كما ذكر سابقا , المهم هنا أن الملعب الذي كان مهيأ لفيصل هو تلك المنطقة الداخلية , وربما كانت بريطانيا تطمع بإبقاء شيء من نفوذها مع إبقاء رجلها فيصل ملكا على ذلك الكيان , ولا بد أن فيصل أدرك جيدا حدود اللعبة في وقت من الأوقات .

فماذا حدث بعد ذلك ؟

منذ بداية العهد الفيصلي الذي نشأ برعاية بريطانيا كانت كل من فرنسا وبريطانيا تراقبان عن كثب مايجري في سورية , وبينما كانت فرنسا وحدها مستاءة من النتائج التي خلصت إليها لجنة كنغ - كراين من كون الغالبية الساحقة من السوريين في الداخل السوري يقفون ضد الانتداب الفرنسي , كانت بريطانيا تخفي سرورها من تلك الحقيقة في ظل تنافس مكتوم على النفوذ تحت سطح الإتفاقات بين الدولتين الإستعماريتين , لكن

ماحصل بعد ذلك أن الحركة الوطنية السورية المعادية لفرنسا وبريطانيا والتي يغلب عليها الطابع القومي العربي بدأت تنمو بسرعة وسط الشعب , واتسعت تنظيماتها ونفوذها الفكري والسياسي , وأظهرت توجهات معادية للمصالح الإستعمارية البريطانية في العراق ومعادية لمشروع الإستيطان الصهيوني في فلسطين , ويذكر أن الثوار العراقيين ضد الجيش البريطاني في العراق كانوا يتلقون الدعم بالمال والسلاح من سورية عبر دير الزور بل لقد اتخذت دير الزور قاعدة متقدمة لكوادرهم وعملياتهم , وبالنسبة لفلسطين فقد كان مشروع الإستيطان الصهيوني يحتل أولوية قصوى في الأجندة السياسية الغربية للمشرق العربي , ليس لمجرد وعد بلفور ولكن لكون ذلك المشروع يدخل في صلب مشروع الهيمنة على المنطقة ومنعها من تكوين قوة ذاتية كبيرة يمكن أن تهدد المصالح الغربية فهو مشروع غربي قبل أن يكون مشروعا صهيونيا . ووقوف الحركة الوطنية السورية بثبات ضد مشروع الاستيطان يعني تعريض ذلك المشروع للمخاطر وهو في طور انطلاقته الأولى , وشيئا فشيئا بدأ يتضح أن فيصل لم يعد ممسكا بزمام الموقف في سورية , وأن بقاء المملكة العربية السورية حتى ضمن نظام الانتداب سيخلق المتاعب لفرنسا ولبريطانيا أيضا في كل من العراق وفلسطين .

هكذا انتهت السياسة البريطانية إلى أن تصفية الحركة الوطنية السورية لايمكن أن تتم على نحو كامل سوى بتصفية العهد الفيصلي وإعطاء فرنسا الفرصة لقلب صفحته بطريقتها المعهودة من الشدة في التعامل مع مستعمراتها في المغرب العربي . حتى لوكان ذلك على حساب فيصل رجلها في المنطقة وعلى حساب شيء من نفوذها في سورية .

ويبدو أن تساهل بريطانيا في تمكين فرنسا من حكم الداخل السوري كما تريد كان هدية غير متوقعة لفرنسا التي كانت قد بدأت تميل لترك سورية والاكتفاء بحكم لبنان ووفقا لفيليب خوري: " ومع أن طلب كليمنصو الأصلي بالسماح للقوات الفرنسية باحتلال كل من سورية ولبنان قد تقلص إلى احتلال لبنان فقط , فإن بريطانيا أزيلت أخيرا كمنطقة عازلة بين فرنسا وفيصل " . (فيليب خوري - الانتداب الفرنسي على سورية - ص60) .

مع ذلك فلم تبع بريطانيا فيصلا والعهد الفيصلي مجانا لفرنسا بل قبضت ثمنه غاليا من تخلي فرنسا عن الموصل الغني بالنفط , وانفرادها بالإنتداب على فلسطين .

وبعد إتمام الصفقة لم يعد هناك سوى سحب الجيش البريطاني من سورية وإطلاق يد فرنسا في سورية الداخل دون قيد أو شرط .

خاض فيصل معاركه الديبلوماسية في أوربة حيث بقي فيها 9 شهور خلال مرحلتين من أصل 22 شهرا هو عمر العهد الفيصلي , ولا شك بأنه أهدر وقتا طويلا بدون نتائج تستحق الذكر في محاولة تعديل السياسة البريطانية تجاه سورية ثم محاولة الوصول إلى اتفاق مع فرنسا لم يكتب له النجاح .

من غير المجدي البحث عن أسباب انهيار العهد الفيصلي خارج السياسة الدولية , فكما يقال فقد ولد ذلك المشروع محكوما عليه بالإعدام مع وقف التنفيذ , ومصيره الذي وصل إليه لم يتقرر في 25 تموز/ يوليو 1920 حين اجتاح الجيش الفرنسي الحدود بين سورية ولبنان ولكن منذ اللحظة التي أعلن فيها الشريف حسين ثورته ضد الدولة العثمانية , تلك الثورة التي جردت سورية من الوسيلة الوحيدة التي كانت متاحة للدفاع عنها في مواجهة

المخططات الإستعمارية البريطانية والفرنسية , وتركتها فريسة سهلة للتقسيم والإستيطان والإحتلال لمدة تزيد عن ربع قرن .

خامسا : الملاحق .

ملحق - 1 :

الاتجاهات السياسية لأعيان دمشق في العهد الفيصلي :

تتكون طبقة أعيان دمشق من ملاك الأراضي وكبار التجار ومثل تلك الطبقة يمكن أن نجدها في المدن السورية الرئيسية في حلب وحمص وحماة , وهي طبقة على درجة فائقة من الأهمية في فاعليتها الإجتماعية , وقد كانت قادرة على المحافظة على مصالحها ومركزها الإجتماعي قبل العهد الفيصلي بوقت طويل من خلال علاقتها بالولاة العثمانيين حيث أنشأت شكلا من التخادم المتبادل مع الدولة العثمانية فهي الأداة الفعالة لدى الولاة لاختراق المجتمع والامساك بمفاصله وتطويعه في مختلف الظروف السياسية والإقتصادية التي تمر بها الدولة مع الأخذ بعين الاعتبار شراكتها التاريخية مع رجال

الدين , وذلك مقابل الحفاظ على مصالحها الإقتصادية ومركزها الإجتماعي واستخدام الدولة بأدواتها بما في ذلك الجهاز الإداري والأمني لخدمة تلك المصالح والدفاع عن الطبقة والإبقاء على هيمنتها دون أن تمس .

اندفعت تلك الطبقة لإرسال أبنائها للدراسة وتحصيل العلوم الحديثة إلى استانبول وأوربة منذ أواسط القرن التاسع عشر , وقد تأثر هؤلاء بعمق بأفكار الحداثة الأوربية المختلطة مع النزعة القومية في استانبول وأوربة على حد سواء .

وهناك جناح من تلك الطبقة أقل حظا في الثروة والنفوذ على الغالب استطاع أبناؤه الدخول للمؤسسة العسكرية العثمانية وشغل مختلف المراكز في تلك المؤسسة العريقة ومنهم يوسف العظمة ورضا باشا الركابي وآخرون . وبينما مثل رضا باشا الركابي الأرستقراطية الدمشقية فقد كان انتماء يوسف العظمة أقرب للطبقات الوطنية الشعبية التي لا تملك تلك المصالح الإقتصادية الراسخة التي تحدد خياراتها السياسية

وحسب يوسف الحكيم فقد وقف أعيان دمشق بأغلبيتهم مع الإنتداب الفرنسي في الإختيارات التي كانت تطرح على الشعب السوري :

" أما أعيان دمشق , المتمسكون بوجاهتهم وسابق عاداتهم التي كانت تفرق بينهم وبين عامة الشعب , فكانت أكثريتهم إلى جانب طلب الإنتداب الفرنسي , بفضل رابطة الثقافة التي عززتها المدارس الفرنسية في سورية ولبنان , بينما كان فريق غير قليل من الأعيان ولاسيما الجيل الجديد يسير مع اللجان الشعبية التي تنشد الوحدة مع الأقطار العربية المجاورة عاجلا أو آجلا , وكل تلك الأقطار تستند آنئذ إلى اتصالاتها مع بريطانيا العظمى "

شكلت تلك الطبقة قاعدة اجتماعية للسياسات التي كان فيصل يميل إليها باستمرار مع الوقت خاصة بعد انسحاب الجيش البريطاني من سورية وتخلي بريطانيا عن دعم العهد الفيصلي تماما لصالح فرنسا , لكن تلك الطبقة لم تكن قادرة على الوقوف بوجه الحركة الوطنية ذات الطابع الشعبي الواسع , مع أن وجودها وأثرها كان واضحا داخل الحكومات المتعاقبة .

ومنذ اتفاق فيصل مع كليمنصو وعودته لدمشق أخذت الإنقسامات السياسية طابعا أكثر حدة , وضمن تلك الإنقسامات أخذ ت تتبلور الحدود بين حركة وطنية - شعبية راديكالية من جهة وطبقة الأعيان التي انضمت للأمير فيصل وأيدت اتفاقه مع كليمنصو في دمشق ونشأ خلال ذلك الحزب الوطني الذي يعبر عنها , وكما في دمشق " اشتدت الحركة المضادة لأعيان حلب وتحولت جريدة المصباح الحلبية إلى منبر دائم لشن الهجوم على الأغنياء والتعريض بهم رابطة بين ذلك وبين انتشار ماوصفته بفكرة الديمقراطية ووفق مانشرته المصباح " انتشرت فكرة الديمقراطية بين أفراد الأمة فلم يعد الرجل يحترم لثروته وعقاراته الكثيرة , وأملاكه الوافرة , إنما يحترم الرجل ويقدر بتقديره الرجال ومعرفة مايجب عليه نحوهم "" - (كتاب الحكومة العربية في دمشق - التجربة المبكرة للدولة العربية الحديثة - 1918 -1920 - ص33)

في بداية العهد الفيصلي ظهر تهميش الأعيان إلى حد أن " أكبر رجال أعيان دمشق أمثال عبد الرحمن اليوسف ومحمد العظم طلبوا الإنضمام إلى حزب الإستقلال لاسترداد مكانتهم وهيبتهم بواسطته , فرفض الحزب طلبهم ولكن الأمير فيصل وفق بعد جهد

جهيد إلى إقناع الحزب بأن يؤلف لجنة استشارية يكونون من أعضائها ولايكون لهم سوى هذه العلاقة الاسمية " - أسعد داغر- مذكراتي على هامش القضية العربية

وفي ذلك الوقت كان الانسجام قويا بين الخط السياسي لفيصل وبين الحركة الوطنية بقيادة العربية الفتاة وحزبها حزب الإستقلال , لكن في المرحلة الأخيرة من العهد ومع حدوث الإنقسام بين الخط السياسي لفيصل المهادن لفرنسا وخاصة بعد اتفاق فيصل - كليمنصو وبين الحركة الوطنية الذي وصل إلى حد الإنشقاق ضمن اللجنة الادارية لجمعية العربية الفتاة ذاتها فقد تصاعد حضور وتأثير الأعيان في الحكومة بانضمامها لفيصل وقد جرى التعبير عن ذلك الإنقسام أحيانا لدى الشخصيات السياسية التي لعبت أدوارا هامة في العهد الفيصلي مثل محمد عزة دروزة بالإنقسام بين الشباب والشيوخ ,في حين أن الشيوخ ليسوا سوى الممثلين الحقيقيين لطبقة الأعيان , وإنما كانوا يدافعون عن مصالحهم ومركزهم الاجتماعي الذي أصبح مهددا بصورة غير مسبوقة مع دخول الطبقة المتوسطة وفئات شعبية للسياسة من الباب العريض عبر الديمقراطية وقد عبر عن ذلك أسعد داغر بالقول : " إن تقاليد سير طبقات العامة خلف الأسر الوجيهة التي تتوارث النفوذ من أجيال قد تبدلت , وعبر عن دهشته مما سمعه من اجتماعات اللجنة الوطنية العليا التي تشكلت لاحقا , بعيد أزمة الإستبدال (انسحاب الجيش البريطاني من سورية لصالح الجيش الفرنسي) من عامة الناس من تنديد شديد ببعض الأعيان وذوي النفوذ من أبناء الأسر الدمشقية الوجيهة الذين كانوا متهمين خطأ أم صوابا بالخيانة أو ضعف العقيدة الوطنية " .

هكذا يمكن أن يلمس المرء في ذلك الإنقسام السياسي - الطبقي أساسا معقولا استند اليه فيصل في تحوله نحو الإتفاق مع فرنسا والقبول بالإنتداب الفرنسي لحماية كيان العهد الفيصلي وعرشه الشخصي .

وينبغي أن لايستهين المرء بقوة طبقة الأعيان وعمق جذورها الإجتماعية , فبعد أن مهدت لدخول الإنتداب الفرنسي بكل السبل وبعضها لم يكن علنيا , فقد قامت بفتح الخطوط مع السلطة الفرنسية والتعاون معها أسرع مما توقع الكثيرون . وربما وجدت في الإنتداب الفرصة للتخلص من الحركة الوطنية الشعبية التي سحبت من يدها نفوذها السياسي والعودة لمكانتها الاجتماعية - السياسية تحت مظلة الإنتداب الفرنسي ولايشمل ذلك بالطبع جميع تلك الطبقة بل غالبيتها وأهم من يمثل مصالحها الإقتصادية والإجتماعية .

ملحق - 2 : دور فيصل في نشوء العهد الفيصلي وفي انهياره .

وفق ماذكر سابقا فقد كانت نهاية العهد الفيصلي مرتسمة مع اتفاق سايكس بيكو ووعد بلفور منذ العام 1916 , وجاءت نتائج الحرب العالمية الأولى لتكرس ذلك المخطط الغربي المدروس بعناية وتصميم للمشرق العربي , بالتالي فقد عاش العهد الفيصلي وازدهر خلال الفترة الإنتقالية الفاصلة بين انتهاء الحرب العالمية الأولى وانسحاب الجيوش العثمانية من البلاد العربية وبين احتواء نتائج تلك الحرب على صعيد السياسة العالمية (مؤتمر السلام في باريس - الدور الأمريكي - لجنة كنغ - كراين - اتفاقيات الاستسلام لألمانيا - الإمبراطورية النمساوية - المجرية - الدولة العثمانية - عصبة الأمم

المتحدة -التوصل لتعديل اتفاقية سايكس بيكو وضم الموصل وفلسطين لحصة بريطانيا مقابل الداخل السوري لفرنسا) مع ذلك وضمن ذلك الإطار العام يمكن التوقف عند دور الأمير فيصل المرتبط مباشرة بثورة الشريف حسين في الحجاز والحركات القومية في بلاد الشام . لكن الذي مال شيئا فشيئا للإستقلال والتفرد في محاولة بناء مملكة عربية - سورية وعرش مستقل الى حد كبير عن والده في الحجاز .

لعب فيصل دورا مركزيا في إنشاء مشروع الدولة السورية بين 1918 - 1920 كما لعب في الفترة التي سبقت دخول الجيش الفرنسي لدمشق في 1920/7/25 وبعد دخوله دورا مركزيا في انهيار تلك الدولة .

كانت سورية الخارجة من رحم الدولة العثمانية بحاجة لقيادة تاريخية تتجمع حولها مكوناتها التي لم تعهد الإتحاد من قبل , فحلب مثلا كانت كيانا ديمغرافيا راسخا يضم معظم شمال سورية وترتبط به كيليكية والموصل ويمتد تأثيره جنوبا حتى المعرة وغربا حتى اللاذقية وإنطاكية وشرقا لبادية الشام وإقليم الجزيرة . وقد ظهرت تلك الكيانية لاحقا عندما وجدت فيها فرنسا الفرصة لتقسيم سورية ليسهل السيطرة عليها , ويمكن رؤية كيف أن إنشاء دولة حلب وافق ميولا كامنة عند الأرستقراطية الحلبية أو قسم هام منها على أقل تقدير .

ويمكن ملاحظة كيانية مشابهة في الساحل السوري الذي وجدت لجنة كنغ - كراين أن الأغلبية فيه تفضل الإنتداب الفرنسي , أما دير الزور والمناطق الشرقية فرغم أنها لم تكن موضع اهتمام مماثل من جانب الإنتداب الفرنسي لكن ذلك لايعني عدم وجود كيانية خاصة لهذا الاقليم الذي كان يعرف دائما بإقليم الجزيرة (دير الزور والحسكة

والقامشلي والرقة الواقعة على تخوم الشام) وهي كيانية تتميز بقربها من الديمغرافيا العراقية وغلبة الطابع العشائري مع وجود أقليات كردية وآشورية في الشمال الشرقي .

وفي الجنوب هناك الكيانية الدرزية والحورانية , ويمكن أن نستعيد هنا ماذكره أسعد داغر في مذكراته من وجود دعوات في حوران للإلتحاق بشرق الاردن بعد سيطرة فرنسا على دمشق عام 1920 .

ليست الكيانيات السابقة هي كل شيء في سورية فهناك التقسيمات المذهبية التي لاتتطابق معها في كثير من الأحيان فالكيانية المسيحية تتوزع على العديد من المدن والقرى , وهناك العشائرية - القبلية التي يمتد أثرها حتى داخل المدن والأرياف , وهناك الإنقسامات الاجتماعية الطبقية والفئوية بين ملاك الأراضي والفلاحين وبين الأرستقراطية المدينية التجارية والطبقات الوسطى والفقيرة .

كل تلك الإنقسامات كانت بحاجة إلى شخصية تاريخية رمزية لتتحد حولها , وبالطبع فإن ذلك الاتحاد لن يضم كل تلك الأجزاء لكن شموله غالبيتها كان كافيا لإسكات البقية ومسايرتهم للتيار خلال صعوده الكبير. مثل فيصل المنقذ والفاتح القادم من أعماق الذاكرة العربية التاريخية والذي سيعيد للعرب مجدهم التليد , ويستعيد حلم الدولة الأموية , ففيصل هو معاوية الجديد , وهو حفيد الرسول القادم من الحجاز, وهكذا استيقظ الحلم التاريخي في دمشق , ولم يكن ذلك بعيدا عن أحلام فيصل ذاته .

في تلك اللحظة المفعمة بالمشاعر , انطلق تيار شعبي جارف وتيار نخبوي مرافق استطاع التغلب على علل الإنقسامات الكامنة في سورية أوإزاحتها للوراء لحساب مد

قومي عربي هو مزيج من مشاعر قومية حداثية وإسلامية معتدلة (ليبرالية) مندمجة مع العروبة بطريقة لافتة .

لكن ذلك المد سرعان ما ارتطم بالحقائق السياسية والعسكرية العربية والدولية القاسية , فالرمز التاريخي الأسطوري وأعني به فيصل لم يكن سوى أمير حجازي نشأ ضمن مؤسسة شرافة مكة التي عانت من العزلة الطويلة , ومنذ بداية ثورة والده الحسين كانت العائلة قد وقعت في قبضة الإمبراطورية البريطانية شديدة الدهاء والقوة ولم يكن بمقدورها في أي وقت تجاوز توجيهات الحكومة البريطانية وقد أصبح لورانس ذا كلمة مسموعة لدى السياسيين البريطانيين فيما يخص المنطقة العربية من خلال علاقته مع ثورة الشريف حسين وخاصة مع فيصل بعد أن اشتهر بتأثيره الكبير عليه , وما كان لثورة الشريف حسين التقدم خطوة واحدة بل حتى مجرد البقاء في مواجهة القوة العسكرية العثمانية في الحجاز بغير التدخل البريطاني الواسع والذي شمل مدها بالمال والسلاح والرجال والمستشارين العسكريين وانخراط سلاح البحرية الملكي في المعارك التي أسفرت عن الاستيلاء على سواحل الجزيرة من جهة البحر الأحمر (جدة ورابغ وينبع) والتي أمنت نقل الجنود العرب الذين أسرتهم جيوش الحلفاء في المعارك مع الدولة العثمانية ثم دفعتهم للقتال مع الشريف حسين وكذلك الضباط والجنود المصريين ذوي الخبرة في المدفعية والتخطيط خلال وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني , وفي الحقيقة فإن كل ذلك الدعم يعني أن ثورة الشريف حسين كانت لافتة أكثر منها قوة حقيقية , وكان لذلك أثره الواضح في علاقتها ببريطانيا .

وحين دخل فيصل دمشق فإنما دخلها كواجهة عربية إسلامية للجيش البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي الذي عينه حاكما مؤقتا للجزء الداخلي من سورية بينما عين جنرالا

فرنسيا حاكما عسكريا للجزء الغربي الذي يتضمن لبنان والساحل السوري حتى إنطاكية واحتفظ لنفسه بفلسطين ثم شرق الاردن تحت الحكم المباشر البريطاني بعيدا عن أي نفوذ أو سلطة للأمير فيصل بينما كان فيصل يذيع البلاغات المضللة للشعب عن استقلال سورية وتحررها وتبعيتها للدولة العربية بقيادة الشريف حسين في مكة .

ولاينفي ماسبق وجود مشاركة فعالة لجيش الشمال العربي بقيادة فيصل في المعارك مع الجيش العثماني كرديف لجيوش الحلفاء عمل لقطع خطوط الإمداد للجيوش العثمانية وتشتيت جهدها العسكري , لكن ذلك الجيش تكون تدريجيا مع انضمام القبائل العربية والضباط العرب , وازدياد الدعم البريطاني خاصة بعد معركة العقبة التي خاضها ضد الجيش العثماني .

أظهر فيصل ذكاء سياسيا نادرا في إيجاد نوع من التوفيق بين مظهره كرمز عربي تحرري يعمل بإخلاص وتفان لقضية العرب وبين ولائه التام للدولة البريطانية , وهكذا استطاع تأمين دعم الشعب السوري ودعم الحركة الوطنية , وساد الإعتقاد في سورية أنه لابديل عن شخصية فيصل بما يحمله من رمزية وحنكة سياسية وخبرة في التعامل مع الدول الأوربية .

وبالنسبة لفيصل فقد أدرك منذ سفره الأول لحضور مؤتمر باريس حاجته الملحة لحيازة شرعية لتمثيل سورية والتفاوض باسمها ثم لحكمها ولذا كان مضطرا للتناغم مع الحركة الوطنية السورية والرأي العام الشعبي وضمن ذلك السياق جاء عقد المؤتمر السوري العام , وإطلاق الحريات العامة , في حين كان ذلك كله يصب في دعم مركز فيصل السياسي في داخل سورية وضمن مؤتمر باريس .

لكن ذلك مالبث أن أوقع فيصل بين مطرقة سايكس بيكو وبين سندان الحركة الوطنية السورية التي تطورت بطريقة فاقت كل التوقعات خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة بعد خروج الجيوش العثمانية .

وضمن الهامش المتاح حاول ببراعة التوصل لمملكة معترف بها من قبل التحالف البريطاني الفرنسي , وعندما اصطدم بصلابة الموقف البريطاني في احترام اتفاقية سايكس بيكو أظهر استعداده للتأقلم مع تلك الاتفاقية ضمن الجزء من سورية الذي لم يكن موضع اهتمام كبير من فرنسا أي سورية الداخل ويضم المدن الأربعة الرئيسية دمشق وحمص وحماة وحلب .

وفي بداية العهد الفيصلي كانت بريطانيا تفكر بإبقاء ذلك الجزء تحت نفوذها , وتحاول التملص مما نصت عليه اتفاقية سايكس بيكو من إبقائه دولة عربية تحت النفوذ الفرنسي بخلاف لبنان والساحل الخاضع مباشرة للسلطة الفرنسية , ويبدو أن تنامي الحركة الوطنية بسرعة وقوة في سورية إلى الحد الذي لم يعد فيه فيصل قادرا على احتوائها وخطر تلك الحركة على مصالح بريطانيا في العراق وفلسطين دفع السياسة البريطانية إلى التخلي عن دعم العهد الفيصلي تماما لصالح فرنسا .

وعند ذلك الحد ومع سحب البساط من تحت فيصل لم يبق له إلا اللجوء لفرنسا والتفاهم معها , وفي اتفاقه مع كليمنصو أظهر فيصل ليس فقط براغماتيته التي كان حريصا على تغطيتها بالخطب الوطنية الرنانة ولكن أيضا استعداده للعمل تحت سلطة الإنتداب الفرنسي وشكل ذلك شرخا كبيرا في صورة فيصل الشعبية , وهنا حدث الطلاق بين نهجين مختلفين من حيث المنطلق والمبدأ فبينما لم يكن في وارد فيصل أي خيار لمقاومة

السياسة البريطانية أو الفرنسية , كانت الحركة الوطنية السورية قد وصلت إلى نقطة اللاعودة في مواجهة الإنتداب الفرنسي على سورية .

ومنذ ذلك الوقت أصبح دور فيصل معول هدم للدولة السورية الوليدة بكل ما حملته من أحلام وأوهام .

فقد أعاق فيصل بطريقة مباشرة وغير مباشرة المحاولات لبناء الجيش وتسليحه , وكان سابقا قد سرح جيش الشمال العربي الذي امتلك بعض الخبرة القتالية والتجربة التنظيمية , كما أعاق وضع أي استراتيجية لمواجهة الجيش الفرنسي , بما في ذلك إنشاء تحالف مع المقاومة التركية التي عملت بنجاح في طرد الفرنسيين من كيليكية ويذكر في هذا الصدد أن مصطفى كمال أرسل أكثر من مرة رسائل للحكومة في سورية للتعاون ضد فرنسا ووضع الخلافات السابقة وراء الظهر في حين كانت بريطانيا تعارض بقوة أي تحالف مماثل .

رفض فيصل الأفكار التي عرضها الوطنيون السوريون والعرب في التخطيط لمقاومة الجيش الفرنسي قدر الإمكان ثم الإنسحاب للشمال السوري والتخطيط لحرب عصابات ضد الجيش الفرنسي كما فعلت الثورات السورية لاحقا .

تسبب فيصل في وضع الحكومة العربية بدمشق في موقف مائع تجاه التهديد الفرنسي بينما كان الشارع السوري يغلي للمطالبة بحشد القوى لمواجهة ذلك التهديد , وشكل فيصل بموقفه المهادن دعما قويا للأرستقراطية السورية التي كانت تفضل منذ البداية الإنتداب الفرنسي .

وينبغي أن لاننسى أن اتفاقه مع كليمنصو لم يكن يعني فقط قبول الإنتداب الفرنسي لكن أيضا إبعاد القضية الفلسطينية عن القضية السورية بصورة تامة والإعتراف بفصل لبنان وسلخ الأقضية الأربعة وفصل شرق الأردن وحتى فصل الساحل الذي سيظل تحت السلطة الفرنسية المباشرة , أي الاعتراف بسايكس بيكو تماما مع الواقع العسكري الذي فرضته فرنسا وبريطانيا . وكل ذلك لم يكن موضع قبول لدى الحركة الوطنية والغالبية الساحقة من الرأي العام في سورية .

وفي النهاية استخدم فيصل نفوذه ومهارته السياسية لدفع الحكومة نحو قبول الإنذار الفرنسي دون اتخاذ أي إجراء احتياطي , وقد اتفق كثيرون من الشخصيات الرئيسية في العهد الفيصلي بعد ذلك أن تسريح الجيش كان خطأ كبيرا أدى لتقدم الجيش الفرنسي بسرعة وسهولة نحو ميسلون وأفقد الجيش السوري مواقعه الحصينة في مجدل عنجر حيث كان يمكن ايقاع خسائر كبيرة بالهجوم الفرنسي .

وبعد معركة ميسلون واستشهاد وزير الحربية البطل يوسف العظمة , قام فيصل بمحاولة أخيرة للتفاهم مع الفرنسيين لبقائه في سورية تحت الإنتداب وذلك بعودته لدمشق بعد انسحابه للكسوة , لكن الفرنسيين كانوا قد حسموا أمرهم بإنهاء العهد الفيصلي بكل مكوناته بما في ذلك زعامة فيصل .

بعد معركة ميسلون ودخول الجيش الفرنسي دمشق كان أمام فيصل خياران رئيسيان : إما رفع راية تحرير سورية داخل سورية أو في المنفى باعتباره الملك الشرعي المنتخب من قبل الشعب , وبالتالي الإحتفاظ بحكومة سورية وطنية في المنفى وتنظيم المقاومة داخل سورية ودعمها من الخارج , أو إدارة الظهر وترك سورية فريسة الإحتلال

الفرنسي واعتبار ذلك قدرها الذي لامرد له , والعودة للحجاز كأمير إلى جانب والده الشريف حسين .

لكن فيصل وجد خيارا ثالثا هو اللجوء لبريطانيا والبقاء هناك والقبول بعرض بريطاني شديد الإغراء هو إنشاء مملكة هاشمية في العراق .

وربما سقط من ملاحظة الكثيرين ممن اهتموا بتاريخ تلك المرحلة أن فيصلا بتخليه الكامل عن القضية السورية خلق فراغا سياسيا أمام الانتداب الفرنسي , بحيث مرت سنتان كاملتان قبل أن نشهد في سورية بداية استعادة الحركة الوطنية للنشاط السياسي وبزوغ المقاومة للإحتلال .

ومثلما كان فيصل حين دخوله دمشق واسطة العقد والبؤرة التي استقطبت حولها الحركة الوطنية السورية فقد أصبح في نهاية ذلك العهد في تخليه التام عن القضية السورية بعد دخول الجيش الفرنسي المطرقة التي أتمت هدم ذلك العهد ودفعت بأركان الحركة الوطنية للتشتت والضياع والإنسحاب من مواجهة الاحتلال حتى حين .

ولايمكن بتحميل فيصل تلك المسؤولية إعفاء كوادر تلك الحركة الوطنية وأركانها من المسؤولية التاريخية أيضا في سرعة انفراطها وتبعثرها وكأن مهمتها الوطنية قد انتهت مع دخول غورو لدمشق .

ملحق 3 : التعريف ببعض الشخصيات الرئيسية في العهد الفيصلي :

1 – الملك فيصل بن الحسين :

ولد فيصل بن الحسين عام 1883 وتوفي عام 1933 ودفن في بغداد .

ثالث أبناء الشريف حسين وأكثرهم شهرة وطموحا .

تسلم قيادة جيش الشمال العربي أحد جيوش الشريف حسين بعد إعلان " الثورة العربية " في الحجاز .

خاض العديد من المعارك ضد الجيش العثماني أشهرها معركة العقبة التي استولى فيها على ميناء العقبة وهزم الحامية العثمانية المرابطة فيه .

عرف فيصل بن الحسين بولائه التام للحكومة البريطانية ورافقه باستمرار كمستشار شخصي ضابط الاستخبارات البريطاني الشهير توماس ادوارد لورنس .

حكم سورية كأمير بعد انسحاب العثمانيين عام 1918 ثم تم تنصيبه ملكا على سورية من قبل المؤتمر السوري في آذار/ مارس عام 1920 .

غادر دمشق بعد دخول الجيش الفرنسي في تموز/ يوليو 1920 واختارته بريطانيا بعد ذلك ليكون ملكا على العراق حتى وفاته عام 1933 .

له خمسة أولاد بينهم الأمير غازي الذي أصبح فيما بعد ملكا على العراق والأمير محمد وعزة وراجحة ورئيفة

2 - الفريق رضا باشا الركابي :

،

علي رضا باشا الركابي (1868 –1942)، سياسي سوري من دمشق ابن عائلة دمشقية عريقة وضابط عربي في الجيش العثماني , خدم في الحرب العالمية الأولى وانتسب سرا لجمعية العربية الفتاة , أحيل للتقاعد في أواخر العهد العثماني وعين رئيسا لبلدية دمشق عام 1915 , وكان أول حاكم عسكري لسورية بعد انسحاب الجيش العثماني عام 1918 , كان رئيسا للحكومات العربية المتعاقبة في العهد الفيصلي ماعدا الحكومة التي رأسها زيد

في أواخر العام 1919 , واستقال في 3 أيار/مايو 1920 ليخلفه هاشم الأتاسي في آخر حكومة عربية , سافر للأردن بعد دخول الجيش الفرنسي دمشق , وسمي رئيسا لحكومة شرق الأردن مرتين في 1922 - 1926 , عاد بعدها لدمشق وأسس حزب الأمة , وترشح لانتخابات الرئاسة لعام 1932 لكنه لم ينجح ثم اعتزل العمل السياسي وتوفي عام 1942 .

3 - هاشم الأتاسي :

هاشم بن خليل الأتاسي (1873 –1960) من مدينة حمص أحد زعماء الحركة الوطنية وأحد الآباء المؤسسين للدولة السورية الحديثة، انتُخب رئيساً للجمهورية مرتين ولُقّب

بأبي الدستور لدوره في صياغة دستور سورية الأول 1920 ودستور سورية الثاني 1928 , انتخب بعد وفاة فوزي العظم رئيسا للمؤتمر السوري الأول عام 1919 , وعهد اليه برئاسة اللجنة المكلفة بوضع دستور البلاد , وفي العام 1920 أصبح رئيسا للوزراء في آخر حكومة للعهد الفيصلي , أسس الكتلة الوطنية في العام 1927 , وقاد مفاوضات الاستقلال الأولى مع فرنسا عام 1936 , انتخب رئيسا لسورية أول مرة بين 1936 - 1939 وانتخب رئيسا مرة ثانية بين 1949 - 1951 , استقال من المنصب إثر انقلاب أديب الشيشكلي وعاد إلى الرئاسة سنة 1954 لإكمال ما تبقى من ولايته الدستورية حتى أيلول 1955. توفي الرئيس هاشم الأتاسي في حمص عام 1960 .

4 - رشيد رضا :

وُلد «محمد رشيد بن علي رضا» عام ١٨٦٥م، في قرية «القلمون» الواقعة بـ «جبل لبنان»، وكان أبوه «علي رضا» إمام مسجد القرية , انتقل إلى مصر ليدرس على يد «محمد عبده» ومن مصر بدأ الشيخ في دعوته الإصلاحية التي كان يرنو إليها، وهي الدعوة للإصلاح عن طريق التربية والتعليم، واتخذ من جريدته «المنار» منبرًا ينشر منه أفكاره , أسس الشيخ رضا مع نخبة من المثقفين السوريين في مصر جمعية اللامركزية مع رفيق العظم وحافظ السعيد وعلي النشاشيبي عام 1909 , وفي عام 1918 تأسس حزب الاتحاد السوري كوريث لجمعية اللامركزية برئاسة ميشيل لطف

الله وشغل محمد رشيد رضا منصب نائب الرئيس في ذلك الحزب ومن أعضاء الحزب عبد الرحمن الشهبندر وكامل القصاب ورفيق العظم , انتقل محمد رشيد رضا لدمشق وانتخب في المؤتمر السوري كممثل لطرابلس ثم انتخب رئيسا للمؤتمر , وساهم بفعالية في النقاشات التي دارت في المؤتمر حول الدستور , عاد إلى مصر بعد دخول الجيش الفرنسي دمشق , وتابع إصدار مجلة المنار وتوفي هناك عام 1935 .

5 - يوسف العظمة :

الفريق يوسف باشا العظمة : (1884 - 1920)

ولد يوسف العظمة في دمشق - حي الشاغور , درس في المعاهد العسكرية في استانبول وتخرج من كلية أركان حرب برتبة يوزباشي أركان حرب عام 1907 وحصل على وسام المعارف الذهبي , وكان يتكلم التركية والفرنسية والألمانية إلى جانب لغته العربية , شارك في حروب البلقان , والحرب العالمية الأولى ضمن الجيش العثماني وكان مرافقا لأنور باشا أحد الزعماء الثلاثة الذين حكموا الدولة العثمانية في ذلك الوقت , ثم أصبح رئيسا لأركان حرب الجيش الأول العثماني باستانبول , وبعد انتهاء الحرب

العالمية وعقب انسحاب الجيش العثماني من سورية عاد لدمشق حيث عين رئيسا للأركان , وفي عام 1920 تم تعيينه وزيرا للحربية , استشهد مدافعا عن البلاد في ميسلون في 24 تموز 1920.

6 - ياسين الهاشمي :

الفريق ياسين باشا الهاشمي : (1884 - 1937)

ولد ياسين الهاشمي في بغداد عام 1884 , درس في استانبول وتخرج من كلية الأركان عام 1905 , اشترك في حرب البلقان ثم في الحرب العالمية الأولى , وحاز على وسام رفيع من قيصر ألمانية لأدائه الحربي في المعارك , وحارب مع الجيش العثماني في

فلسطين ضد الجيش البريطاني , ثم انسحب لدمشق بعد إصابته بجرح , وبعد دخول الأمير فيصل لدمشق , عينه رئيسا لأركان حرب الجيش , وبعد دخول الفرنسيين دمشق غادرها إلى بغداد وتسلم عدة مناصب رئيسية في عهد فيصل الأول وشغل منصب رئيس الوزراء مرتين , قبل أن يطيح به انقلاب عسكري مما أجبره إلى اللجوء لدمشق حيث بقي هناك لحين وفاته.

7 - محمد عزة دروزة :

محمد عبد الهادي عزة دروزة : (1887 - 1984)

ولد في مدينة نابلس بفلسطين , وخلال الحرب العالمية الأولى تولى حملة التفتيش على مراكز البرق والبريد المدنية في سيناء. تحول شغفه بالتاريخ وممارسة هواية الخوض في تفاصيله، قراءة ودراسة وتمحيصا، الى دراية معمقة وواسعة في هذا المجال فخاض فيه باحثا موسوعيا مثابرا، الى أن أضحى أحد أهم المشتغلين العرب في هذا الحقل , شارك دروزة في العمل الوطني، وانضم إلى "حزب الائتلاف والحرية العثماني" سنة 1908، ثم إلى "حزب اللامركزية" سنة 1914كما شارك محمد عزة دروزة في عضوية

المؤتمر السوري العام الثاني الذي انعقد سنة 1920 وكان سكرتيره ومقرره وقد أصدرت سلطات الانتداب الفرنسي الحكم بإعدامه بعد معركة ميسلون , لجأ إلى الاردن وعمل مع الأمير عبد الله في ديوانه ثم عمل في تأسيس حزب الاستقلال العربي سنة 1932 , عاد إلى نابلس وتولى إدارة كلية النجاح فيها بين عامي 1932 - 1937وأخيرا استقر في دمشق وتوفي فيها عام 1984 .

من مؤلفاته :

مختصر تاريخ العرب والإسلام 1925 .

بواعث الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى، جان بيتون، ترجمة، بيروت، 1946 .

في سبيل قضية فلسطين .

عبرة من تاريخ فلسطين .

العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي، 3 أجزاء .

تاريخ الجنس العربي في مختلف الأدوار والأقطار في 9 أجزاء .

مشاكل العالم العربي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، دمشق، 1925 .

8 - يوسف الحكيم :

يوسف الحكيم : **(1879- 1979)**

ولد يوسف الحكيم في مدينة اللاذقية , تدرج في أعمال القضاء في الدولة العثمانية وفي عام 1916 عين قائم مقام في قضاء الكورة بلبنان ورئيسا للجنة ترجمة القوانين من التركية إلى العربية , ثم قائم مقام في قضاء البترون المتاخم لطرابلس , بايع يوسف الحكيم الأمير فيصل وانتخب عضوا في المؤتمر السوري العام ثم نائبا لرئيس المؤتمر , تسلم وزارة (النافعة) وتعادل وزارة (الأشغال العامة والتجارة والزراعة) عدة مرات في الحكومات المتعاقبة في العهد الفيصلي , وبقي في سورية في عهد الإنتداب

حيث تسلم عدة مناصب منها وكيل وزارة العدل في اللاذقية ورئيسا أولا لمحكمة التمييز بدولة الإتحاد السوري عام 1923 , ووزيرا للعدلية في الأعوام 1926 وحتى 1928 , وبعد العام 1948 تفرغ لكتابة مذكراته التي أنهى منها أربعة أجزاء : سورية والعهد العثماني , بيروت ولبنان في عهد آل عثمان , سورية والعهد الفيصلي وسورية والانتداب الفرنسي . وتوفي في دمشق عام 1979 .

9 - محمد كرد علي :

محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي (1876 - 1953)

ولد في دمشق لأب كردي وأم شركسية , سافر إلى مصر عام 1905 وأنشأ فيها مجلة المقتبس الشهرية نشر فيها البحوث العلمية والأدبية والتاريخية , أنشأ المجمع العلمي العربي بدمشق في العهد الفيصلي عام 1919 وظل رئيسا له حتى وفاته , وفي سنة 1920 أصبح وزيرا للمعارف وبقي في الوزارة حتى العام 1922 , وفي سنة 1928م عُهد إلى الأستاذ محمد كرد علي بمنصب وزير المعارف ثانية، وظل وزيرًا للمعارف

حتى سنة 1932م وفي سنة 1953 توفي بدمشق وسمي أحد شوارع دمشق باسمه تقديرا لمساهمته العلمية والأدبية والتاريخية وما خلفه من مؤلفات .

من كتبه :

الاسلام والحضارة العربية

القديم والحديث

غابر الأندلس وحاضرها

رسائل البلغاء

دمشق مدينة السحر والشعر

الإدارة الإسلامية في عز العرب

أقوالنا وأفعالنا

سيرة أحمد بن طولون (تحقيق)

10 - كامل القصاب :

الشيخ محمد كامل بن أحمد آغا القصاب (1873 - 1954)

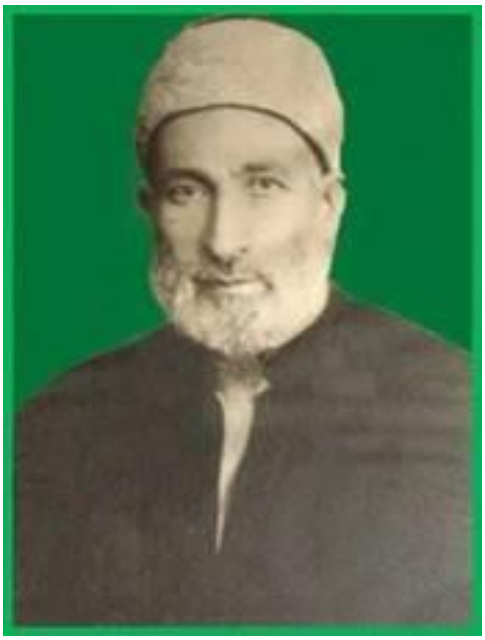

ولد كامل القصاب بدمشق , درس في الجامع الأزهر بمصر على يد الشيخ محمد عبده وغيره , كان من مؤسسي جمعية العربية الفتاة السرية بدمشق مع عبد الغني العريسي وتوفيق البساط وعارف الشهابي وغيرهم .

كان القصَّاب متعدِّد النشاطات؛ تعاون مع القسَّام، ورشيد رضا، ومحبِّ الدِّين الخطيب وبعد قيام الثورة العربية انتقل إلى مصر وأسس (حزب الاتحاد السوري) , وفي العهد الفيصلي أسس مع محب الدين الخطيب اللجنة الوطنية العليا للدفاع وشارك بفعالية في حشد القوى الوطنية والشعبية ضد الإنتداب الفرنسي , وقد أصدر الجنرال غورو الحكم عليه بالإعدام بعد احتلال دمشق عام 1920 , وفي العام 1937 عاد إلى دمشق بعد صدور العفو عنه , سافر للحجاز بدعوة من الملك عبد العزيزآل سعود عام 1925 حيث عهد إليه بمديرية المعارف , اهتم بالتربية والتعليم وإنشاء المدارس والمعاهد , توفي بدمشق عام 1954 .

11 - محب الدين الخطيب :

محب الدين الخطيب : (1886 - 1969)

جاء في الموسوعة العربية (ويكيبيديا) عن محي الدين الخطيب :

" محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب، أصل أسرته من بغداد من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني , هاجرت أسرته إلى حماة في بلاد الشام ، ونزح فرع منها إلى قرية "عذراء" وفريق إلى دمشق ".

علم من أعلام النهضة ، ولد بدمشق وتعلم فيها وباستانبول ، مثقف وكاتب ومفكر عربي – إسلامي ، التحق بالشريف حسين عام 1916 في مكة وحرر هناك جريدة " القبلة" وكان موضع ثقة الشريف حسين ومستشاره الخاص ومندوبه إلى رؤساء القبائل ، حكم عليه جمال باشا بالإعدام غيابيا ، عاد إلى دمشق بعد خروج العثمانيين منها ، وعمل في

تحرير جريدة " العاصمة " ويمثل محب الدين الخطيب الخط الوطني الأقرب لنبض الشعب السوري ، وإرادته الحرة ، التي لم تتفق مع سياسة الأمير فيصل المهادنة لفرنسا ،وبعد دخول الفرنسيين هرب إلى مصر إذ كان مطلوبا للمحاكمة من قبل ادارة الاحتلال الفرنسي لمواقفه الوطنية ، وفي مصر أشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث .

12 - الدكتور أحمد قدري :

أحمد بن عبد القادر قدري : (1893 – 1958)

سياسي وطبيب سوري وشخصية نهضوية بارزة ، ولد بدمشق وكان والده ضابطا في الجيش العثماني ، درس الطب في استانبول ثم باريس ، أحد القوميين العرب الذين أسسوا جمعية العربية الفتاة سرا في استانبول عام 1908 بعد إعلان الدستور العثماني ، وربما كانت مجرد فكرة جامعة في البداية ثم تبلور هيكلها التنظيمي ودستورها لاحقا في 1911 ، وهو أحد أهم الناشطين السياسيين من أجل منح العرب حقوقهم السياسية والثقافية ضمن الدولة العثمانية في البدء ، شارك في تنظيم المؤتمر العربي الأول في باريس 1913

وأصدر جمال باشا أمر باعتقاله فاعتقل لمدة شهرين ثم خرج حين لم يتوفر لدى المحكمة دليل لادانته ، واستمر في نشاطه السياسي السري في جمعية (العربية الفتاة) في دمشق حتى وصل جيش الشمال العربي إلي معان واتخذ منها مقرا له ، فالتحق به هناك ، وبقي مرافقا له طبيبا خاصا وعاملا في حقل السياسة الوطنية .

وحين غادر فيصل دمشق بعد دخول الجيش الفرنسي صحبه في البداية الدكتور أحمد قدري ثم انفصل عنه مغادرا إلى مصر وافتتح عيادة طبية وجلب عائلته إلى مصر ، وحين تأسست الدولة العراقية وتولى الحكم فيها الملك فيصل استدعى أحمد قدري كمستشار سياسي ثم قنصلا للعراق في مصر عام 1930 ، وأخيرا وبعد فاة الملك فيصل ، عاد أحمد قدري لدمشق وعينه صديقه شكري القوتلي رئيس سورية أمينا عاما لوزارة الصحة حتى إحالته على المعاش وتوفي بدمشق سنة 1958 .

13 - الدكتور عبد الرحمن الشهبندر :

د.عبد الرحمن بن صالح الشهبندر (1879 - 1940)

الطبيب عبد الرحمن الشهبندر سياسي وخطيب وكاتب ولد في دمشق في حارة الشهبندر - حي القيمرية أكمل دراسته في الكلية الانجيلية - السورية في بيروت التي عرفت فيما بعد بالجامعة الأمريكية في العلوم وعاد لاحقا إليها ليدرس الطب , ساهم في تأسيس الجمعية الاصلاحية بدمشق التي اقتدت أثر الجمعية الاصلاحية ببيروت في طلب الحقوق العربية ضمن الرابطة العثمانية , وشاركت الجمعية في المؤتمر العربي بباريس 1913 برسالة وقعها عبد الرحمن الشهبندر مع لفيف من الشخصيات العربية , وفي العام 1914 وبعد أن وصل جمال باشا واليا على سورية وبدأ باضطهاد الناشطين والمثقفين العرب هاجر عبد

الرحمن الشهبندر من دمشق واستقر به المقام في مصر وأسس مع عدد من المثقفين العرب حزب الاتحاد السوري في العام 1918 , وفي الأشهر الأولى من العام 1919 وخلال التحضير لاستقبال لجنة كنغ - كراين افتتح حزب الاتحاد فرعا له بدمشق وكان على رأسه عبد الرحمن الشهبندر .

وبعد عودة فيصل من باريس واتفاقه مع كليمنصو خطب عبد الرحمن الشهبندر أمام اجتماع في النادي العربي بحضور فيصل رافضا بقوة وشجاعة أي وصاية أوانتداب على سورية , ويصفه أحمد قدري بالقول " كان من أقوى الشخصيات الوطنية المندفعة " , استلم حقيبة وزارة الخارجية في حكومة هاشم الأتاسي في ايار 1920 , وبعد دخول الفرنسيين دمشق , حكم على الشهبندر بالاعدام , فهرب إلى مصر .

وعاد إلى دمشق بعد صدور قرار العفو بنهاية 1921 وأصبح أقوى شخصية سياسية مؤثرة في دمشق في عهد الانتداب , وحكم عليه الانتداب بالسجن في جزيرة أرواد , وفي العام 1925 ساهم بفعالية في إنشاء حزب الشعب الذي اتصف بالتوجهات العلمانية , شارك عبد الرحمن الشهبندر في الثورة السورية الكبرى , وكان واحدا من أهم قياداتها السياسية , وحكم عليه بالاعدام عام 1926 , لكن الحكم تم الغاؤه وعاد الشهبندر لدمشق عام 1937 , توفي إثر اغتياله بدمشق عام 1940 .

ملحق - 4 : حول مفهوم الإنتداب

الإنتداب : إذن ممنوح من قبل عصبة الأمم لدولة عضو لتحكم مستعمرة ألمانية أو تركية سابقة ويطلق على المنطقة اسم المنطقة المنتدبة .

بعد هزيمة ألمانيا وتركيا العثمانية في الحرب العالمية الأولى، تم توزيع ممتلكاتهم الآسيوية والأفريقية، التي اعتبرت غير جاهزة بعد لحكم أنفسهم، بين القوى المنتصرة بموجب المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم (التي أنشأها الحلفاء). كان نظام الانتداب بمثابة حل وسط بين رغبة الحلفاء في الاحتفاظ بالمستعمرات الألمانية والتركية السابقة وإعلانهم قبل الهدنة (5 نوفمبر 1918) بأن ضم الأراضي لم يكن هدفهم في الحرب.

تم تقسيم الانتدابات إلى ثلاث مجموعات على أساس موقعها ومستوى تطورها السياسي والاقتصادي، ثم تم تخصيصها لمنتصري الحلفاء الأفراد (سلطات الانتداب أو الانتدابات) .

تتألف انتدابات الفئة (أ) من المقاطعات التركية السابقة في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين. اعتبرت هذه المناطق متقدمة بما فيه الكفاية بحيث تم الاعتراف باستقلالها المؤقت، على الرغم من أنها كانت لا تزال خاضعة للسيطرة الإدارية للحلفاء حتى أصبحت قادرة تمامًا على الوقوف بمفردها. تم تخصيص العراق وفلسطين (بما في ذلك الاردن) لبريطانيا العظمى، في حين ذهبت سوريا ولبنان الخاضعتين للحكم التركي إلى فرنسا.

تتألف انتدابات الفئة ب من المستعمرات الأفريقية السابقة التي كانت تحكمها ألمانيا في تنجانيقا، وأجزاء من توغولاند والكاميرون، ورواندا-أوروندي. وكانت قوات الحلفاء مسؤولة بشكل مباشر عن إدارة هذه الانتدابات، ولكنها كانت تخضع لضوابط معينة تهدف إلى حماية حقوق السكان الأصليين في الانتداب. تم إسناد تنجانيقا (التي أصبحت الآن جزءًا من تنزانيا) إلى بريطانيا، بينما تم إسناد معظم الكاميرون وتوغولاند إلى فرنسا، وذهبت رواندا-أوروندي (رواندا وبوروندي الآن) إلى بلجيكا .

تتألف انتدابات الفئة ج من العديد من الأراضي التي كانت تحت سيطرة ألمانيا سابقًا والتي أدارتها الدول المنتدبة لاحقًا كجزء لا يتجزأ من أراضيها: جنوب غرب إفريقيا (ناميبيا الحالية، المخصصة لجنوب إفريقيا)، وغينيا الجديدة (المخصصة لأستراليا)، وساموا الغربية (الآن ساموا، المخصصة لجنوب إفريقيا). إلى نيوزيلندا)، والجزر الواقعة شمال خط الاستواء في غرب المحيط الهادئ (اليابان)، وناورو (أستراليا، مع بريطانيا ونيوزيلندا .

من الناحية النظرية، كانت ممارسة الانتدابات تشرف عليها لجنة الانتدابات الدائمة التابعة لعصبة الأمم ، لكن لم يكن لدى اللجنة طريقة حقيقية لفرض إرادتها على أي من سلطات الانتداب.

تم استبدال نظام الانتداب بنظام الوصاية التابع للأمم المتحدة في عام 1946 .

المرجع : الموسوعة البريطانية

نص المادة 22 التي حددت مفهوم الانتداب الصادر عن عصبة الأمم في 24 تموز 1922:

ف1) ـ المستعمرات والأقاليم التي ترتب على الحرب الأخيرة أنها لم تعد تخضع لسيادة الدول التي كانت تحكمها، والتي تقطنها شعوب غير قادرة على الوقوف وحدها في الأحوال القاسية للعالم الحديث يطبق عليها المبدأ القاضي بأن رفاهية هذه الشعوب وتقدمها إنما هي أمانة مقدسة في عنق المدنية، وبأن يشتمل العهد على الضمانات الكفيلة بالاضطلاع بهذه الأمانة.

ف2) إن أفضل وسيلة لوضع هذا المبدأ موضع التطبيق العملي هو أن يعهد بالقوامة على هذه الشعوب إلى الأمم المتقدمة، التي هي بحكم مواردها وتجاربها وموقعها الجغرافي، في مركز يسمح بالاضطلاع بهذه المسؤولية، والتي هي راغبة في قبولها، وأن تزاول هذه القوامة بوساطتهم، بوصفهم سلطات قائمة بالانتداب، وذلك بالنيابة عن العصبة.

ف3) يتعين أن يتفاوت طابع الانتداب بحسب مرحلة، تقدم الشعب، الموقع الجغرافي للإقليم، وأحواله الاقتصادية والأحوال المشابهة الأخرى.

ف4) إن بعض الجماعات التي كانت تابعة للإمبراطورية التركية قد وصلت إلى مرحلة من التقدم يمكن معها الاعتراف، بصفة مؤقتة، بوجودها كأمم مستقلة، مع تقديم المشورة والمعونة الإدارية من جانب السلطة القائمة بالانتداب، حتى يحين الوقت الذي تصبح به قادرة على الوقوف وحدها، ويتعين أن تكون رغبات هذه الشعوب هي الاعتبار الرئيسي في اختيار السلطة القائمة بالانتداب (ماينطبق على المشرق العربي).

ف5) وثمة شعوب أخرى، وبخاصة شعوب وسط إفريقيا، ما زالت في مرحلة يتعين فيها أن تكون السلطة القائمة بالانتداب مسؤولة عن إدارة الإقليم وفقاً لشروط تكفل حرية العقيدة والأديان مع مراعاة المحافظة على النظام العام والآداب، بتحريم الإساءات كتجارة الرقيق والاتجار بالأسلحة والاتجار بالخمور، ومنع إنشاء استحكامات أو قواعد حربية وجوية، والتدريب العسكري للأهالي لأغراض غير الشرطة والدفاع عن الإقليم، وضمان تهيئة فرص متكافئة لأعضاء العصبة الآخرين في الاتجار والتجارة.

ف6) وثمة أقاليم، كجنوب إفريقيا وبعض جزر المحيط الهادي، التي هي بسبب عزلة شعوبها، أو صغر حجم الإقليم، أو بعده عنمراكز المدينة، أو قربه الجغرافي من إقليم السلطة القائمة بالانتداب، وظروف أخرى، تتيسر إدارتها على أفضل وجه بأن تطبق عليها قوانين السلطة القائمة بالانتداب كأنها أجزاء لا تتجزأ من إقليمها، مع مراعاة الضمانات المذكورة آنفاً لضمان مصالح السكان الوطنيين

.

ف7) في كل حالة من حالات الانتداب، تقدم السلطة القائمة بالانتداب تقريراً سنوياً إلى المجلس عن الإقليم الذي اضطلعت بالمسؤولية عن إدارته.

ف8) يحدد المجلس تحديداً صريحاً درجة السلطة والرقابة والإدارة التي تباشرها السلطة القائمة بالانتداب، وذلك إذا لم يكن قد سبق الاتفاق عليها بين أعضاء العصبة.

ف9) تؤلف لجنة دائمة لتلقي التقارير السنوية من السلطات القائمة بالانتداب وفحصها وتقديم المشورة إلى المجلس في كافة المسائل المتعلقة بتطبيق أحكام الانتداب.

ملحوظة: كانت لجنة الانتداب في عصبة الأمم تتألف من تسعة أعضاء من الجنسيات (# التالية:

فرنسي - إنجليزي - بلجيكي - ياباني - هولندي - إيطالي - إسباني - برتغالي - سويدي.

ملحق 5 - نص لائحة المؤتمر السوري العام في 7 حزيران / 1919 والموجهة إلى لجنة كنغ - كراين :

إننا نحن الموقعين أدناه , إمضاءاتنا وأسماؤنا , أعضاء المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق الشام والمؤلف من مندوبين عن جميع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية الحائزين على اعتماد سكان مقاطعاتنا وتفويضهم , من مسلمين ومسيحيين وموسويين , قد قررنا في جلستنا المنعقدة في نهار الأربعاء المصادف 2 تموز 1919 (يبدو أن الاعداد النهائي لصيغة اللائحة تأخر عن تاريخ انعقاد المؤتمر وربما كانت اللائحة قد وضعت في ضوء تلك القرارات المتخذة سابقا) وضع هذه اللائحة المبينة لرغبات سكان تلك البلاد الذين انتدبونا ورفعها إلى الوفد الأميركي المحترم من اللجنة الدولية .

1 - إننا نطلب الاستقلال السياسي التام الناجز للبلاد السورية , التي يحدها شمالا جبال طوروس * وجنوبا رفح فالخط المار من الجوف إلى جنوب العقبة الشامية والعقبة الحجازية وشرقا نهر الفرات والخابور والخط الممتد شرقي أبو كمال إلى شرق الجوف وغربا البحر الممتوسط بدون حماية ولا وصاية .

2 - إننا نطلب أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية , مدنية, نيابية , تدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة , وتحفظ فيها حقوق الأقليات , على أن يكون ملك هذه البلاد الأمير فيصل الذي جاهد في سبيل تحرير هذه الأمة جهادا استحق أن نضع تمام الثقة بشخصه , وأن نجاهر بالاعتماد التام على سموه

3 - حيث أن الشعب العربي الساكن في البلاد السورية هو شعب لايقل رقيا من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية وليس هو في حالات أحط من حالات شعوب البلغار والصرب واليونان في مبدأ استقلالها , فإننا نحتج على المادة 22 الواردة في عهد جمعية الأمم القاضية بإدخال بلادنا في عداد الأمم المتوسطة التي تحتاج إلى دولة منتدبة .

4 - إذا لم يقبل مؤتمر الصلح هذا الاحتجاج العادل لاعتبارات لانعلم كنهها فإنما بعدما أعلن الرئيس ويلسون أن القصد من دخول الحرب هو القضاء على فكرة الفتح والاستعمار نعتبر أن مسألة الانتداب الواردة في عهد جمعية ألأمم عبارة عن مساعدة فنية و اقتصادية لاتمس باستقلالنا التام .

وحيث أننا لانريد أن تقع بلادنا في أخطار الاستعمار , وحيث أننا نعتقد أن الشعب الأمريكي هو أبعد الشعوب عن فكرة الاستعمار , وأنه ليس له مطامع سياسية في بلادنا , فإننا نطلب هذه المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة الأمريكية , على أن لاتمس هذه المساعدة باستقلال البلاد السياسي التام ووحدتها , وعلى أن لايزيد أمد هذه المساعدة عن عشرين عاما .

5 - إذا لم تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من قبول طلبنا هذه المساعدة منها , فإننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا العظمى , على أن لاتمس باستقلال بلادنا السياسي التام ووحدتها , وعلى أن لايزيد أمدها عن المدة المذكورة في المادة الرابعة .

6 - إننا لانعترف بأي حق تدعيه الدولة الافرنسية في أي بقعة كانت من بلادنا السورية ونرفض أن يكون لها مساعدة أويد في بلادنا بأي حال ومكان كان .

7 - إننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية أي فلسطين وطنا قوميا للاسرائيليين , ونرفض هجرتهم إلى أي قسم من بلادنا , لأنه ليس لهم فيها أدنى حق , ولأنهم خطر شديد جدا على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي , أما سكان البلاد الأصليون من إخواننا الموسويين فلهم مالنا وعليهم ما علينا .

8 - إننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين , والمنطقة الغربية الساحلية , التي من جملتها لبنان , عن القطر السوري , ونطلب أن تكون وحدة البلاد مصونة , لاتقبل التجزئة بأي حال كان .

9 - إننا نطلب الاستقلال التام للقطر العراقي المحرر وعدم وجود حواجز اقتصادية بين القطرين .

10 - إن القاعدة الأساسية من قواعد الرئيس ويلسون التي تقضي بإلغاء المعاهدات السرية تجعلنا نحتج أشد الاحتجاج على كل معاهدة تقضي بتجزئة بلادنا السورية , أو كل وعد خصوصي يرمي إلى تمكين الصهيونيين من القسم الجنوبي من بلادنا , ونطلب أن تلغى تلك المعاهدات والوعود بأي حال كان .

هذا وإن المبادىء الشريفة التي صرح بها الررئيس ويلسون لتجعلنا واثقين كل الثقة في أن رغباتنا هذه الصادرة من أعماق القلوب ستكون هي الحكم القطعي في تقرير مصيرنا وأن الرئيس والشعب الأمريكي الحر سيكونون لنا عونا على تحقيقها فيثبتون للملأ مصداق مبادئهم السامية , وغايتهم الشريفة نحو البشرية بنوع عام والشعب العربي بنوع

خاص , وأن لنا الثقة الكبرى من أن مؤتمر السلام يلاحظ أننا لم نثر على الدولة التركية التي كنا وإياها شركاء في جميع الحقوق التمثيلية والمدنية والسياسية , إلا لأنها تحاملت على حقوقنا القومية , فيحقق لنا رغائبنا بتمامها , فلاتكون حقوقنا قبل الحرب أقل منها بعد الحرب, بعد أن أرقنا من الدماء ما أرقناه في سبيل الحرية والاستقلال . ونطلب السماح لنا بإرسال وفد يمثلنا في مؤتمر السلام للدفاع عن حقوقنا الثابتة تحقيقا لرغباتنا هذه والسلام .

ملحق 6 : حول اقليم كيليكية .

وفقا للتصورات الأولية لجمعية العربية الفتاة وكذلك لجمعية اللامركزية فإن اقليم كيليكية يقع بكامله ضمن سورية بما في ذلك أورفه وعنتاب ومرعش واسكندرون وانطاكية وقد كان تابعا لولاية حلب في العهد العثماني , صحيح أن هناك اختلاطا سكانيا في معظم مناطق الاقليم (أتراك وأكراد وأرمن وعرب ..الخ) لكن تبعيته لولاية حلب من جهة والديموغرافيا التاريخية التي نجدها في كثير من المؤلفات الجغرافية القديمة تعتبره جزءا من بلاد الشام , ومايجدر ذكره أن تلك المطالبة بالاقليم ترددت في أماكن ومناسبات متعددة منها الرساالة الأولى للشريف حسين لمكماهون في تعيين حدود الدولة العربية الكبرى التي يطالب بريطانيا في دعم إنشائها مقابل القتال معها ضد الأتراك , لكنه سرعان ما تخلى عن تلك المطالبة في الرسالة الثانية , ونجدها في تعريف سورية الطبيعية في رسالة فيصل التي قدمها في مؤتمر السلام بباريس , كما

نجدها في أدبيات حزب الاتحاد السوري المشكل في مصر 1918 , وأخيرا نجد في النقاشات السياسية داخل الحكومة الفرنسية في التمهيد لاتفاقية سايكس بيكو تعليمات من الرئيس الفرنسي بريان إلى سفيره في لندن بول كامبون والمفاوض الفرنسي بيكو عام 1915 بخصوص حدود سورية كالتالي :

"بعد تقديم هذا التحفظ، فإنه يبدو أن الحل الأبسط يمكن في تثبيت الحدود الإدارية الحالية لسورية. وهكذا، فستشتمل أرضها على ولايات أو متصرفيات القدس وبيروت ولبنان ودمشق وحلب، وفي الشمال الغربي على الجزء الكامل من ولاية أضنة الواقع جنوب طوروس" وهكذا يضيف الرئيس الفرنسي لولاية حلب العثمانية التي كانت تضم سناجق عنتاب وأورفة ومرعش الجزء السهلي من ولاية أضنة أيضا .

لذا نجد أن فرنسا أوردت مدينة حلب إضافة للساحل السوري واقليم كيليكية وجزء من ولاية أضنة كمنطقة نفوذ مباشر(باللون الأزرق) في خارطة سايكس بيكو . بخلاف بقية سورية الداخل التي جاءت كمنطقة مرشحة لدولة عربية تحت النفوذ الفرنسي .

ولنتذكر أيضا أن احتلال الجيش الفرنسي لاقليم كيليكية اتخذ من حلب مقرا لعملياته ومركزا لحشد قواته العسكرية في ذلك الاقليم , وحين اضطر للانسحاب من معظم اقليم كيليكية حتى اسكندرون تحت ضربات المقاومة التركية استعاض عن ذلك الانسحاب بتركيز قواته شمال حلب , كما ورد احتلال حلب في بنود انذار غورو كشرط كي لايجتاح الجيش الفرنسي دمشق في 14 تموز 1920 .

لاحقا بينما تخلت فرنسا عن اقليم كيليكية أمام المقاومة التركية لمصطفى كمال وانحصر وجودها في لواء الاسكندرون الذي أعطته صفة استقلال ذاتي في البدء فلم يكن تابعا

لحلب ولا إلى اللاذقية , ثم ضم لولاية حلب وأخيرا وضمن سعي فرنسا لكسب تركيا إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية فقد تنازلت عنه لتركيا عام 1939 .مخالفة بذلك لشروط الانتداب الذي حددته عصبة الأمم باحترام حدود الدولة التي هي موضوع للانتداب وعدم تغييرها وتسليم تلك الحدود كما كانت عند انتهاء الانتداب .

مراجع البحث

1 - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى - الدكتور أحمد قدري .

2 - الحكم الحزبي في سورية أيام العهد الفيصلي 1918 - 1920 - الدكتورة سهيلة الريماوي

3 - سورية والعهد الفيصلي - يوسف الحكيم .

4 - الحكومة العربية في دمشق - 1918 -1920 - الدكتورة خيرية قاسمية .

5 - مذكراتي على هامش القضية العربية - أسعد داغر .

6 - الثورة العربية الكبرى (تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن) - أمين سعيد .

7 - المؤتمر السوري العام (1919 - 1920) - ماري ألماظ شهرستان .

8 - يوم ميسلون - ساطع الحصري .

9 - تاريخ الدوولة العثمانية - شكيب أرسلان .

10 - أوراق الملك فيصل الأول - يونس العبادي .

11 - حول الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة .

12 - تاريخ مقدرات العراق السياسية - محمد طاهر العمري الموصلي .

13 - الموسوعة البريطانية - بريتانيكا .

14 - مئوية الدستور السوري الأول - إشكالية العلمنة وسياقاتها الاجتماعية - السياسية - التاريخية - محمد جمال باروت .

15 - الحكومة العربية في دمشق - التجربة المبكرة للدولة العربية الحديثة (1918 - 1920)

مجموعة من المؤلفين - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات .

16 - مذكرات طه الهاشمي .

17 - سلام مابعده سلام (ولادة الشرق الأوسط - 1914 - 1922) - ديفيد فرومكين .

18 - الطريق إلى سايكس بيكو - (الحرب العالمية الأولى بعيون عربية) - مجموعة من الباحثين .

19 - تاريخ دمشق وأهلها - عبد العزيز العظمة .

20 - يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية) - جورج أنطونيوس .

21 - فارس الخوري وأيام لاتنسى - محمد الفرحاني .

22 - رشيد رضا والدستور العربي - السوري لعام 1920 - كيف قوض الانتداب الفرنسي الليبرالية الاسلامية - الدكتورة اليزابيث تومسون .

23 - محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية - دكتور محمد عبد الرحمن برج .

24 - مذكرات عوني عبد الهادي - خيرية قاسمية .

25 - مذكرات فوزي القاوقجي - إعداد خيرية قاسمية .

26 - سورية والانتداب الفرنسي (سياسة القومية العربية 1920-1945) فيليب خوري .

27 - بريطانيا والهاشميون والحكم العربي 1920 - 1925:

BRITAIN, THE

HASHEMITES AND ARAB

RULE 1920–1925

The Sherifian Solution

28 - الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون - مؤسسة الدراسات الفلسطينية

29 - الفكر العربي في عصر النهضة (1789 - 1939) - البرت حوراني .

30 - مذكرات العقيد حسن تحسين باشا الفقير حول معركة ميسلون والإنتداب الفرنسي كما وردت في كتاب " الانتداب الفرنسي الغاشم على سورية".

31 - عبد الرحمن الشهبندر (دراسة في تاريخ سورية السياسي 1918 - 1940)

- ياسر المشاقبة.

32 - خط في الرمال (بريطانيا وفرنسا والصراع الذي شكل الشرق االأوسط) - ترجمة سلافة الماغوط .